روايات رومانسية عالمية

عبير



مارجري هيلتون

لحظات الجمر

مكتبة مدبولي

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
A MAN WITHOUT MERCY

١ - امرأة وحيدة

يوم الجمعة: عطلة نهاية اسبوع اخرى.

صعدت جيردا درجات السلم الثلاث ببطء، ولم يكن هناك احد يلاحظ توقفها او حركاتها المتعبة قبل ان تضع المفتاح في ثقب باب الشقة رقم ٣٧، كما لم تلحظ وجود اي شخص، من قبل، في ممرات بناية كرافتون، الفخمة جداً. كان الموجودون في البناية اناساً يعيشون خلف ابواب شققهم الفخمة والديكور الحديث دون الاهتمام بأن يكونوا جيراناً. الا ان بواب البناية هذا الرجل العطوف، كان يعرفهم جميعاً بحسب اسمائهم وارقام شققهم ولم يتوقف يوماً عن الايماء برأسه تحية لهم كل صباح ومساء.

أغلقت الباب خلفها دون ان تحدث اي ضجة كما لو ان الباب كان مبطناً بالقطيفة، لتتسلل بهدوء الى عزلتها.

ستدخل، ذات يوم، الشقة بعد ان تتحول وحشتها الى دفء بيت في انتظار عودة صاحبه بعد يوم عمل شاق، الا ان ذلك اليوم لم يحل بعد، حتى بعد انتظار ستة شهور. كانوا جميعاً لطفاء: هكذا فكرت وهي تفرغ محتويات كيس التسوق في الثلاجة وخزانة المطبخ، ولو انها اصغت لنصيحة اصدقائها بعد وفاة بلير لانتقلت من شقتها الى مكان آخر او ربما لقبلت دعوة والدة بلير للبقاء معها فترة غير محدودة. الا ان فكرة العيش في بيت بلير القديم، في منطقة ديفون، في صحبة امرأة عجوز تعيش على ذكرياتها، كانت غير محتملة ثم انها لم ترغب بالتخلي عن مكان منحها اياه بلير بكل حب.

ربما كان اصدقاؤها محقين، ربما كانت حمقاء لاصرارها على البقاء في مكان يذكرها كل ما فيه بـ بليز بدلاً من التخلص من ذكرياتها عن زواج لم يستغرق فترة طويلة، اذ قضت معه فترة سنتين.

دق جرس الهاتف فخفضت الحرارة تحت ابريق الشاي، قبل توجهها لرفع السماعة. اجابها صوت كاترين، كما توقعت، وابتسمت اذ حدست مقدماً ما ستقوله المرأة الأكبر منها سناً، فقالت:

«كلا، ارجو ان تعذريني يا كات. نعم اعرف ان لايل كيرك جاء لقضاء عدة ايام هنا فالتقيت بشقيقه منذ ايام، الا انني خططت للتخلص من بعض المشاكل الصغيرة خلال العطلة، وارجو اعفائي من الدعوة. انه لعطف كبير منك التفكير بي. لكنني . . . ».

«اعرف انك عانيت من ارهاق العمل طوال الاسبوع كله، وانك متعبة ولكن اصغي. لما سأقوله يا جيردا حان الوقت لأن يصارحك احدهم بالحقيقة، انك في الثانية والعشرين من عمرك وليس الثانية والاربعين، وقد مضت على وفاة بليز ستة اشهر فمتى ستتخلصين من تأثير ما حدث؟

لم اخترت هذا العمل؟ كان عليك مغادرة البلد وزيارة والدتك لعدة اشهر. عزيزتي، تعلمين بانني لا احاول التدخل الا انني احاول اعادتك الى دورة الحياة الطبيعية، انك لا ترغبين بالبقاء ارملة طوال حياتك، اليس كذلك؟».

توترت اصابع جيردا حول سماعة الهاتف واجابت:

«ليس لذلك علاقة برفضي الدعوة. الا انني لا ارغب زيارة مكانك بغضي افراده معظم وقتهم في محاولة ربطي برجل اعزب. خاصة اذا كان الرجل لايل كيرك».

«وما هو عيب لايل؟».

«لا شيء، عدا انني لا احس بأي شيء نحوه ولا ارغب في اقامة علاقة معه، او مع اي رجل آخر».

اضافت بتجهم. اما كاترين فاحست بجرح مشاعرها فقالت:

«من اوحى لك بذلك؟ انك تدركين خطأك اليس كذلك؟ انه الوقت الملائم للخروج مع رجل لطيف يدعوك للعشاء ثم يبادلك الحب، انه

العلاج الأفضل لوضعك».

«ربما اذا كنت تعلمين ما الذي ستعالجينه بالضبط».

وتذكرت جيردا شيئاً، ناظرة باتجاه المطبخ فقالت:

«كاتي، يجب ان اذهب الآن لأنني تركت الماء يغلي على النار. اعرف أنك تحاولين مساعدتي وانا اقدر ذلك ولكن هل تستطيع نسيان الموضوع الآن وربما . . . ».

«حسناً، الا اننا لن نسمح لك بالانكفاء وحدك هكذا. اذ لم يتوقع منك بليز الحياة كراهبة بقية حياتك. ويكفي ان السنة الاخيرة كانت قاسية ما فيه الكفاية. يا للمسكين بليز لا بد ان الأمر حطم قلبك. . . ».

«نعم، كاتي سأتصل بك فيما بعد. عليّ الذهاب. مع السلامة».

وضعت جيردا السماعة في مكانها واسرعت الى المطبخ. كانت كاترين صديقة عزيزة الا ان الحاحها كان اكثر من اللازم، وهذا أمر لم تتحمله اعصاب جيردا.

قطعت جيردا علبة من لحم لسان الثور، شرحت ثمرة طماطم، ووضعت قليلاً من الزبد على الخبز، ثم جلست عند الطاولة الصغيرة لتحدق في السطح المزين باللونين الاصفر والبرتقالي، دون ان تراهما.

كانت تعلم ان كاترين محقة. اذ لا يتوجب عليها العيش بهذه الطريقة، متجنبة الدعوات، غالقة نفسها في زحمة العمل اثناء النهار ومستهلكة وقت فراغها وحدها، كذلك بغباء الصورة النموذجية المعروفة عنها: ارملة شابة حرمها الموت من زواج مثالي سعيد. . . آه لو انهم عرفوا الحقيقة.

ورغم ذلك احبت جيردا بليز وبادلها هو الحب. لقد وجدت في بليز ملجأ تخلصت بواسطته من الماضي. فجأة دمعت عيناها فهزت رأسها بعنف: لماذا توجب عليك الموت يا بليز؟ لماذا؟

رفعت صحن الطعام بتثاقل لأنها لم تستطع اتمام تناول طعامها، ثم جلست لتلقي نظرة على عمل الشركة الذي جلبته معها الى البيت. كان عليها اعداد نسخ بعض المواصفات وموجز تقرير سيوفر عليها الكثير من الوقت يوم الاثنين، ثم اعداد بعض الملاحظات لـ هوارد دوريل عن مناقصة مهمة. مهما كان رأي كاترين عن عملها فان جيردا واثقة بأن عملها كمساعدة خصوصية لـ هوارد دوريل يمثل نقطة ارتكاز هامة في حياتها، اذا

أحست بالحاجة لوجودها، ولم يكن لديها وقت للملل. كانت محظوظة في عثورها على العمل وتوفره وقت حاجتها، لم تكن المؤسسة كبيرة جداً ولهذا تسهل ملاحظة الجهود الفردية وكان هوارد صديقاً لها اكثر مما كان رئيس عمل، ورغم انها لم تسمح لنفسها باستغلال صداقته.

بدأت الطباعة وتساءلت في الوقت نفسه عن مسار لقاء هوارد بممثل شركة فان لورن للمعدات الالكترونية، فقد كان هوارد متلهفاً للحصول على العقد خاصة بعد سريان بعض الاشاعات عن شركتي فان لورن وويتفورد كومباني. سحبت آخر صفحة من الآلة الطابعة ثم سمعت صوت جرس الباب. تعجبت لذلك واسرعت نحو الباب لتفتحه الا انها تراجعت بدهشة حين رأت وجه الرجل المتعب الواقف انتظاراً.

«هوارد، لم اتوقع. . . .».

ثم توقفت عن الكلام حين ادركت ما اصابه. تناولت من يده حقيبة العمل وقالت:

«ادخل واجلس، سأعد لك بعض الحليب الساخن».

«كلا، لا تزعجي نفسك».

تجاهلت جيردا اعتراضه واسرعت الى المطبخ بعد ان جلس على الكنبة قرب المدفأة. سخنت بعض الحليب بسرعة ثم تناولت قنينة دواء المعدة التي احتفظت بها لكل هذه الحالات الطارئة.

عانى هوارد من مرض رجال الأعمال: القرحة، وتبين لها من معرفتها اياه ان لا فائدة من محاولة ابعاده وتحذيره. حين عادت الى الغرفة همس:

«شكراً، انك تشبهين امك كثيراً. جميلة وباردة ظاهرياً لكنك دافئة وحنونة في الداخل. ماذا سأفعل دونك؟».

«افعل ما طلبه منك الاخصائي، وافق على اجراء العملية وتخلص من المرض».

«انني عجوز وخائف جداً».

«هراء، ستصبح رجلاً جديداً».

«لست متأكداً من انني اريد التحول الى رجل جديد. جيردا، آسف لاقحامك في مشاكلي، ولكن هل ستساعدينني؟».

«بالطبع، هل تريد مني مرافقتك الى البيت؟ هل استدعي الطبيب. . .

اولا؟».

ثم تذكرت شيئاً مهماً جعلها تقفز من مكانها، فقالت:

«ربما كان من الأفضل الاتصال بالسيد كنفسلي والغاء دعوة العشاء معه. لا يزال هناك وقت».

«كلا، ليس ذلك ما اريده. اللعنة انه حدث سيء وفي وقت اسوأ. . . جيردا، تلقيت مكالمة هاتفية بعد مغادرتك المكتب».

«هل تعني. . .؟».

واشار برأسه ايجاباً مضيفاً:

«تأكد الأمر رسمياً، لقد بيعت فان لورن لشركة ويتفورد».

انعقدت جيردا في مكانها:

«هل تعتقد ان لهذا تأثيراً سلبياً علينا».

«قد يصبح الأمر اذا لم ننجح في تجديد العقد».

وارتسمت على وجه هوارد دلائل الألم رغم محاولته اخفاء ذلك. وحين انتهت نوبة الألم مرر يده على جبينه، قائلاً:

«لهذا جئت هنا الليلة. انا ليس في امكاني، في حالتي الصحية السيئة، مواجهة ليلة اخرى من الطعام الدسم والشراب حتى الساعات الأولى من الصباح. انت تعلمين ما يعني ذلك».

كانت جيردا تعرف جيداً ما قصد، إذ لاحظت في الصباح الباكر وجوه الرجال الرمادية المتعبة، وجوهاً ترتدي قناع الموت ثمن مواصلة التنافس في عالم التجارة والمال. قالت:

«لا اعتقد انك في حالة تسمح بذهابك، انك ستقتل نفسك بهذه الطريقة. دعني الغي الدعوة قبل ذهابك».

فرد عليها:

«لا استطيع ذلك. يجب ان نحصل على العقد. وما اريده منك هو الذهاب نيابة عني».

«انا؟ الليلة؟. . . لكنني».

ونظرت الى ساعتها ثم الى وجهه القلق، وواصلت قائلة:

«هوارد، لا استطيع الذهاب نيابة عنك».

«لماذا؟ هل انت مدعوة الى مكان الليلة؟».

«كلا، لكنك تعرف آراء الرجال المجحفة بحق النساء».

«مرواء، ستكونين رائعة خاصة وانك تعرفين تفاصيل العقد احسن مني، حتى انك لن تلجأي الى قراءة الأوراق الرسمية. ابتسمي في وجه العميل وسيوقع العقد كالحمل».

تذكرت جيردا مذكرة كينغسلي، المحتسب اللبق ممثل شركة فان لورن، الذي التقت به بعد عدة اسابيع من بدء عملها في المؤسسة، ولم تكن الذكرى مشجعة مثلما ذكر هوارد.

فقالت بلهجة متشككة:

«نعم، انت تعلم بانني سأبذل اقصى جهدي، لكن لا تلمني اذا رفضوا مناقشة الأمر مع امرأة».

«في الوقع، كنت سأرسل تيلور لولا انه موجود في مانشستر ولن يعود قبل الساعة التاسعة وربما في وقت متأخر اكثر بسبب زحمة المواصلات».

وتوقف هوارد عن الكلام ليهز كتفيه بارتياح، ثم واصل حديثه:

«انه ثقل ازيح عن ذهني. والآن، هل تريدين سيارتي ام استدعي سيارة اجرة؟».

«افضل سيارة أجرة اذ سيخلصني من مشكلة البحث عن مكان لايقاف السيارة».

«حساب النفقات مفتوح قدر ما تشائين بهذه المناسبة هل لديك بطاقة النفقات؟ استخدميها وسأصرف كل شيء فيما بعد».

اومأت جيردا برأسها.

«سأعطيك بعض المال احتياطاً».

وسحب بعض الأوراق المالية من جيبه وناولها اياها قائلاً:

«والآن، سأستعيد معك بعض الملاحظات السريعة...».

وحين قام بذلك وعلق بأن معلوماتها احسن من معلوماته هزت رأسها قائلة:

«انني سعيدة لثقتك بي، وآمل الا اخيب ظنك... بالمناسبة، اين ومتى سألتقي بالسيد كنغسلي؟».

«يا الهي، لقد نسيت اهم شيء. انه ليس كنغسلي، وكان ذلك جزءاً من المعلومات التي تلقيتها. القادم هو ممثل ويتفورد الخاص، الذي

بنفسه».

«حقاً؟ تشرفنا... اي واحد منهم؟».

«جوردان بلاك بنفسه».

«جوردان بلاك».

بعد ذلك، ادركت جيردا ان الفترة القصيرة لم تتجاوز اللحظات بين نطقه للاسم واختفاء الصدى من رأسها، الا انها ظنت ان الأمر استغرق وقتاً طويلاً، قبل ان تسمع صوت هوارد من جديد.

«ظننت ان ذلك سيصدمك، الا انني آمل تحول الأمر الى بشرى خير، اذ انه معروف بانجذابه الشديد للنساء وارجو ان تمارسي جاذبيتك الأنثوية عليه اذا اضطررت...».

توقف هوارد اذ ادرك خطأ ما عنده واذ لاحظ شحوب وجه جيردا المفاجئ الدال على عمق الصدمة.

«لا استطيع اداء المهمة. آسفة، لا استطيع...».

«لم لا؟».

وفكر بانها عصبية ومترددة فواصل:

«ستكونين افضل سفيرة لنا... واذا كان ما قلته يقلقك فانني لا اظن بانك ستخضعين للغواية بسهولة، حتى لو كان الشخص جوردان نفسه. كل ما عليك عمله هو ارتداء درعك المضاد للحب. والآن لا تقلقي اذ ليس هناك ما يستوجب القلق».

لم تسمعه جيردا، جوردان بلاك من بين جميع الرجال، اخر رجل رغبت في رؤيته مرة اخرى. وكان من المستحيل اقناع نفسها بأن شخصاً آخر يحمل الاسم ذاته. اذ لا يتسع العالم في رأيها، لاثنين يحملان اسم جوردان بلاك. واحال الخوف بشرتها الى لون جليدي واحست بارتخاء اطرافها. وفتحت فمها لتعلن صراحة كرهها في اللحظة الأخيرة وارادت القول انها تفضل القيام بأي شيء عدا... ثم رأت وجه هوارد المشجع الآن وقلقه الظاهر بوضوح في عينيه فاستذكرت ما حدث ذات مرة في الماضي.

منذ عشرين عاماً مر والدها بالظرف نفسه ووقف هوارد دوريل الى جانبه وساعده على اجتياز الأزمة. منذ عشر سنوات كان دوريل منقذ العائلة بعد وفاة الوالد واخيراً ساعدتها هذه منذ ستة اشهر عند فقدها البكر.

ولولا مغادرته البلد منذ اربع سنوات لعمل طارىء، لما مرت بأقسى تجربة في حياتها ولاستطاعت بالتأكيد تغيير اسلوب وضعها الحالي. وبذلت جهدها لاستعادة هدوئها وكبحت غازلها: ليس في استطاعتها خذلان هوارد.

«آسفة، انه احساس عصبي، اين ستلتقي به؟».

«الساعة الثامنة والنصف في مطعم توري، انه مكان رجال، الا انني لم افكر بتغيبك الا الآن».

«لا مانع في الذهاب الى هناك مرة واحدة».

«انه افضل مطعم لتقديم اللحم الشوي ولو كنت اعلم بذهابك مسبقاً لاخترت مكاناً اخر يلائمك اكثر. ربما سيختار بلاك الذهاب الى مكان آخر».

وتلاشى صوت هوارد مرة اخرى وبدا وكأنه يعاني من جفاف في حلقه.

«لا يهم الأمر. من الأفضل ان اقوم بتغيير ملابسي».

«نعم، كيف ستتعرفين على بلاك؟».

«بل هوارد واقفاً يبطء».

«هل سأعرف جوردان بلاك؟» خاطبت نفسها ثم اومأت برأسها:

«لا تقلق سأعثر عليه بسهولة، عليك الذهاب الى فراشك مباشرة واستدع الطبيب، هل تسمعني؟».

«نعم، ها هو العقد، لن يوقعه الليلة، بل ما سيحدث هو مجرد الحديث عنه، ولكن من الأفضل لو اخذته معك. شكراً جزيلاً يا عزيزتي. اذا عدت في وقت مبكر، فاتصلي بي، واذا. . .».

«سأتصل بك غداً».

ردت جيردا. . . حين غادر هوارد الشقة، ساد المكان صمت مخيف، توجهت الى الحمام حيث اغتسلت ثم بدأت محاولة اختيار فستان ملائم للمناسبة. كان الفستان الأبيض الكلاسيكي فاخراً بالنسبة لمكان كتوري، فاختارت واحداً وردياً ورفعت شعرها الى قمة رأسها ولم ترتد أياً من مجوهراتها، كما راعت ان يكون الماكياج بسيطاً.

كانت اصابعها باردة كالثلج حين وضعت بعض العطر على رسغيها وعنقها، ولمحت صورتها في المرآة: الوجه البيضوي محاط بقسوة الشعر الاشقر. ربما لن يتعرف عليها، فما حدث بينهما تم منذ ثلاث سنوات، ولم تعد هي في التاسعة عشرة من عمرها ذات الشعر الطويل المنسدل بحرية على كتفيها، وملامح الوجه الجميلة. . . تنفست جيردا بعمق محاولة الحفاظ على هدوئها. ما الذي يستطيع جوردان بلاك فعله الآن؟ ما حدث كان في الماضي. ليس هناك من اصل الضغينة في داخله منذ تلك الفترة الطويلة. بالتأكيد، ليس في امكانه الحقد عليها طوال ذلك الوقت. . .

كان جوردان بلاك اول رجل رأته حين دخلت توري.

طول الطريق حاولت اقناع نفسها بانه قد لا يأتي لحدث طارىء وصدقت ما توهمته الى حد انها لم تتوقع رؤيته اطلاقاً، الى ان سارت داخل توري حيث احست بدفء المكان الرجولي، الكنبات الجلدية الثمينة والديكور الخشبي الغامق اللون، المطبوعات القديمة الموضوعة على الجدران والممثلة لرحلات صيد تمت في القرن الثامن عشر، ثم رأت جوردان جالساً في النهاية البعيدة وامامه قدح شراب مثلج، بينما حمل بيده سيجارة بدا وكأنه نساها.

وقفت قرب المدخل، محاولة تجاهل رؤوس الرجال الملتفتة للنظر اليها باستغراب، انها المرأة المقتحمة للمطاعم، الا ان جوردان بلاك لم يرها بعد، وعليها المحافظة على رباطة جأشها حتى تلك اللحظة. انه لم يتغير اطلاقاً.

لا يزال الشعر الأبيض الكث منسدلاً بلا ترتيب على جبينه وحاجبيه الغامقي اللون، الحنك القوي تتوسطه شمارة تضيف الى وجهه قسوة وصلابة عرف بهما، بينما تفارقت الشفتان بلا مبالاة اشارة الى شهوانية داخلية، واكد طوله الفارع قوته وتصميمه، تصميم رجل لا يقبل المساومة وواثق دائماً من صحة اختياره، لم يرفع رأسه بعد.

تقدمت جيردا نحوه في محاولة يائسة للدفاع عن نفسها، خاطبت اولاً الرجل الواقف خلف البار ثم سارت نحوه:

«مساء الخير سيد بلاك».

استدار برأسه بكسل، والتقت عيناها بعينيه الزرقاوين المظللين باهداب سوداء، فلمحت التماعاً اختفى بسرعة.

اجبرت جيردا نفسها على الابتسام، ابتسامة يرسمها رجال الأعمال على وجوههم كلما تعلق الأمر بصفقة جديدة، ابتسامة ساخرة لا شخصية ودافئة

في الوقت نفسه.
«آسفة لاخبارك عن عدم مجيء السيد دوريل. كان الأمر مفاجئاً ولم يستطع تأجيل الموعد».
واصل النظر اليها بقسوة وصمت.
«لم نرغب بإزعاجك، فطلب مني السيد دوريل الحلول محله».
واشارت الى الظروف الذي تحمله قبل ان تواصل القول:
«لدي كل التفاصيل هنا، اذا رغبت بمناقشتها معي، اظن ان باستطاعتي توضيح كل غموض في الموضوع».
«هل هذا هو العقد الجديد مع غريتفلوكس؟».
«نعم».
احست بجفاف شفتيها وشحوبها وسرت لارتدائها فستاناً وردياً يخفي ذلك.
«هل ترغب في شراب آخر يا سيد بلاك؟ او هل تفضل تناول العشاء الآن؟».
«اكره ان تدعوني امرأة للشراب والطعام».
ثم نظر باتجاه النادل فجاء حالاً لتلبية طلباته.
«ماذا تريدين يا آنسة. . .؟».
وتلفظ كلمة «آنسة» باصرار.
«انني السيدة ماستروده».
اجابت باصرار فقال:
«اريد قدح عصير، رجاء».
«سيجارة».
وضع علبة سجائره المزخرفة من جهة واحدة، ثم اشعل لها سيجارتها بيد ثابتة، وضغط على زر القداحة مرتين، لأنها لم تستطع اخفاء ارتجاف يديها، تناولت قدحها وفكرت بأن لقاءها بجوردان اسوأ مما تخيلته. قالت:
«اذا كنت ترغب بتأجيل اللقاء الى أن تتحسن صحة دوريل. . .».
«لا ادري، ما هو مرض دوريل؟».
«القرحة المعدية. وهو يرفض التوقف عن العمل لمعالجتها».
هز جوردان كتفيه بلا مبالاة وقال:

«لن يفعل ذلك اذا كان قلقاً بصدد مناصبه، منذ متى بدأ تزويد فان لورد بما تحتاجه؟».
«منذ خمس سنوات».
«وهل انتم قادرون على تجهيزنا؟».
شعرت جيرداً بتخلصها من بعض توترها في استطاعتها اجابة الاسئلة بكفاءة ومقدرة ولم تسبب لها المصطلحات التقنية اي ارتباك.
دفع قدحه جانباً وقال:
«لنتناول الطعام الآن».
تبعته بصمت، مدركة في الوقت نفسه تغير الأدوار حين تقدم النادل لسؤاله عما يرغبان من طعام، فأحست كما لو انها كانت واقفة على رمال متحركة. وفكرت بأن جوارد ارتكب اكبر خطأ في حياته حين ظن انها قادرة على ذلك مع اي رجل ساحر عادي، اما جوردان بلاك فلم يكن رجلاً عادياً، بل كان معتزاً برجولته الى حد ان مجرد فكرة لقائه بامرأة اعمال لمناقشة عقد جديد، مقضي عليها بالفشل منذ البداية.
اختار الشراب ثم كوكتيل الفاكهة لها وكوكتيل الاربيان له، ثم اللحم المشوي بعد ذلك، بعد انتهائه من هذا وضع مرفقه على الطاولة وخاطبها:
«والآن اخبريني عن سبب وجودك هنا؟».
دهشت للسؤال الا انها اسرعت باجابته:
«اخبرتك السبب عند مجيئي. ولا بد انك تعرف العقد المطروح والا لما كنت موجوداً هنا الليلة».
«ما هو مركزك في الشركة؟».
«مساعدة خصوصية للسيد دوريل».
اجابته وهي تحاول تناول كوكتيل الفاكهة.
«حسناً وهل هو المدير الوحيد للشركة؟».
ضمت شفتيها مانعة نفسها من الاجابة بخشونة، الم يقرأ اياً من الرسائل المتبادلة؟ الم يطلع على اي من المعلومات قبل قبوله الدعوة؟ واذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يدع كينغسلي يواصل المفاوضات؟ حسناً، اذا ما كان يرغب فيه هو تاريخ الشركة. . .
«السيد ميريك والسيد ليلور في مانشستر كما ان هناك اضراباً في. . .».

«اعرف كل تفاصيل الاضراب في جلوز ولا تهمني التفاصيل غير الضرورية حالياً».
فسألته بهدوء:
«وما الذي تريد معرفته بالضبط يا سيد بلاك؟».
«هل هذا هو اسلوبك الخاص مع رجال الأعمال يا جيرو؟».
وحلت لحظة المواجهة اخيراً. كانت عيناه باردتين ولم تستطع مقاومة التحديق فيهما. جف فمها وازدادت ضجة غرفة الطعام حولها، فجأة الى حد تحولت فيه الى ضوضاء غريبة، قالت بصوت مختنق:
«ماذا لم تقل ذلك من قبل؟».
«ماذا تظاهرت بعدم معرفتي؟».
لم تستطع العثور على كلمات مناسبة للدفاع عن نفسها، وواصل قائلاً:
«لم تتغيري، كل ما تغير هو انك امتلكت الجرأة للمجيء. ولكن لا بد ان السبب هو لارضاء زميلك بالتواجد في مكان مخصص للرجال».
انتابها الوجوم وصمتت كما لو انه ضربها على رأسها، ثم سحبت حقيبة يدها بعنف وقالت:
«اذا كان الأمر كذلك، فمن الأفضل ان اغادر المكان».
«وتنسين فضيحة؟ ابقي في مكانك، وماذا عن العقد؟».
لحظت النادل مقترباً منها، فسكتت ثم قالت بعد ابتعاده:
«لم تتغير اطلاقاً يا جوردان، كما انك لا تستطيع النسيان».
«هل توقعت مني ذلك؟».
«كلا، كنت سأكون بلهاء لو انني توقعت اي شيء منك، وخاصة التفهم».
احنت رأسها وتوقفت عن التظاهر بتناول الطعام لعلمها ان الطعام سيخنقها. لحظت انعكاس الضوء على قدح شرابه وتكرار الانعكاس عندما وضع القدح على الطاولة. قال:
«وانك، توفي بليز منذ ستة اشهر. هل ما زلت ارملة؟ ام ان هوارد دوريل هو المرشح الجديد؟».
بتعمد، دفعت صحن طعامها جانباً وجلست باستقامة.
«انت تعلم جيداً قوة مركزك حالياً. اذا ما رغبت باهانتي فليس لدي

الخيار بل سأسمح بذلك لارضائك، ولكن احتراماً لرجل لا علاقة له بما حدث بيني وبينك، رجل لا يصح لومه لأي سبب كان، اطلب منك عدم ذكر اسم هوارد دوريل مرة اخرى».
«يبدو انك تعلمت اخيراً، الاخلاص. ومن سوء الحظ انك لم تتصفي به من قبل».
«لن اجادلك فيما قلته» قالت ببرود. «لانني جئت هنا لانجاز عمل وليس ...».
واحست بصعوبة في التنفس والتام جعلتها الا انها قالت اخيراً:
«وليس لبدء النقاش في موضوع قديم مرة اخرى. والآن هل تستطيع [illegible] بعد العقد؟».
«آه! نعم العقد».
ومال جوردان في مقعده ليتخذ وضعاً مريحاً اكثر وقال:
«انك ترغبين في الحصول على هذا العقد مهما كان الثمن اليس كذلك؟ خاصة ان شركتكم مرت بعام تجاري سيء في السنة الماضية».
«تمر كل الشركات، احياناً، بظروف عصيبة».
وحاولت في الوقت نفسه الحفاظ على جمود ملامحها لئلا يجد لذة سادية في تعذيبها.
«الا تريد بعض الحلوى؟».
اشار برأسه رافضاً وطلب من النادل جلب الجبن. وبعد انصراف النادل قال:
«حسناً، لنعد الى العمل، افترض بانك مركز ثقة دوريل... هناك اشياء كثيرة اود معرفتها قبل الموافقة على العقد».
كانت وجبة طعام غريبة. وبدا وكأن جوردان قد تحول الى مخلوق اخر، مخلوق اشتهر بصلابته وقسوته في المعاملات التجارية. وتحولت اسئلته التي اطلقها الى تحقيق متواصل، حلّل فيه كل نقطة في العقد، وناقشها في ادق التفاصيل، وكانت اعصاب جيرو على وشك الانهيار قبل ان يتوقف لاشعال سيجارة اخرى.
كانت صالة الطعام فارغة تقريباً، والجو مثقلاً بدخان السجائر، وراقبت جوردان مدخناً سيجارته ثم تذكرت ما قاله هوارد لها: لن يوقع الليلة، بل

سيكون اللقاء مجرد تهيئة لذلك.

وسرت رعشة يأس في جسمها، وتلاشى املها في منحه العقد للشركة، خاصة بعد معرفته بعملها.

بقيت صامتة، الا ان التساؤل الواضح في عينيها دفعه الى القول:

«لنخرج من هنا».

وقادتها جملته الأخيرة الى تنفيذ جديد، وخلافاً للمألوف طلب من النادل الحساب ودفع هو كل شيء، ثم قال للنادل المتعب ان يتناول شيئاً على حسابه، ثم خرجا سوية.

«لا اسمح لأي امرأة بدفع حسابي، اطلاقاً».

قال بتصلب حين خرجا الى الظلمة وواصل قائلاً:

«حسناً، اين ستتوجهين الآن؟».

حدقت في وجهه مما دفعه الى اطلاق ضحكة قصيرة.

«لم يتم شيء الليلة، كما تعلمين. وأحد الأسباب هو ان ضمان وقت التسليم ليس موافقاً لمواصفاتي. والآن، لنأخذ سيارتي القريبة ولنعد الى بيتي».

«كلا».

وانطلق الجواب بسرعة دفعته للقول:

«لم لا؟ انه المكان الذي اجري فيه صفقاتي عادة».

«افضل عدم الذهاب فالوقت متأخر و...».

ثم توقفت بعصبية.

«وانت تخافين الاساءة الى سمعتك، هل انت متأكدة ان هذا هو السبب الوحيد؟».

«نعم».

«ارجو ان تكوني مقتنعة، على الأقل، بما تقولينه. كلا لم تخبريني في شيء يا جيردا. ذلك الجمال البريء، البارد، المعروض لخداع اي رجل، الا انه لن يخدعني».

«علي الذهاب الآن».

نظرت الى مكان خلفه.

«سأتذكر تعليقاتك للسيد فوريل وسأسأله عن الضمان، سيتصل بك في

اقرب فرصة».

ومدت يدها لمصافحته.

«تصبح على خير وشكراً على وجبة الطعام».

تجاهل جوردان يدها الممدودة وقال:

«اين ستذهبين؟».

«الى البيت بالطبع».

«بسيارتك؟».

«كلا، بواسطة التاكسي».

«سآخذك بسيارتي».

«كلا، لا حاجة لازعاجك، انا استطيع استدعاء سيارة ... بسهولة».

«ربما، الا انني لا اترك امرأة وحدها في الشارع في الساعة الواحدة صباحاً».

امسك بذراعها وساعدها على عبور الشارع. ولم تستطع التخلي عن شعورها حياله، حتى عند اقترابها من سيارته الرسيلس الخضراء.

قال بتجهم وهو يفتح باب السيارة:

«لا تقلقي، اعرف ما الذي تفكرين به، ولكني لا بد ان اكون في حاجة ماسة الى اي امرأة لما فكرت بلمسك».

جذب القفاز من يدها ورماه على المقعد الخلفي للسيارة. ثم قال بتصلبه المعهود:

«الى اين؟».

لم تبد اي رغبة بدخول السيارة بل قالت:

«لا بد ان كراهيتي الى هذا الحد ترضي رغباتك».

«كلا، ليس الكراهية. فالكراهية صلة قريبة بالحب، عزيزتي جيردا، وانا اشك ببدء فهمك للعاطفتين. لو انك...».

وحدقها نحوه قائلاً:

«تعرفين ذلك، والا لما جئت الليلة لرؤيتي».

ارتفعت لتلمس ذراعه ودخلت السيارة بسرعة. وارتفعت في داخلها اصوات احتجاج ان تصرخ، ان تحتج، ان تطلب منه تفهم ظروفها ارادت

ان تهرب قبل ان تسقط في الفخ. الا انها لم تستطع القيام بأي شيء... بل دفعت رأسها الى الخلف ليلامس المقعد الجلدي الناعم وان تصلي طلباً للقوة لتصمد امام تعليبه لها لحين اتمام مهمتها... وبعد ذلك...

وانطلقت السيارة، اذ دخل جوردان بلاك واغلق الباب خلفه. ومست ذراعه ذراعها اذ بدأ لمسه لازرار الاضواء وانكمشت من لمسه وكان وجودها معه في ظلمة السيارة، وحدهما، امراً غير محتمل وتعثرت لسماع صوته مخاطباً اياها:

«اين تسكنين؟»

«بناية كرافتون».

«اعرف المكان».

وسارت السيارة بسهولة، مطيعة لكل لمسة من لمساته وبلا مقاومة مثل امرأة مستسلمة بلا احتراس لعواطفها، وكما كانت في تلك الليلة قبل ثلاث سنوات. ترى هل يتذكر ما حدث؟ هل يتذكر اخر مرة جلست الى جواره في السيارة بعد ان غادر المستشفى وحاولت اخباره الحقيقة عن علاقتها بستيوارت. بكت حينئذ كثيراً لان ما حدث كان مأساوياً، الا انها لم تستطع تفادي الأمر، وواساها بين ذراعيه. وظنت بانه فهمها وانه سيحاول تهدئتها، وجاءت التهدئة بشكل عناق، واعتقدت للحظة بانه اهتم بها واثارها احساس رائع ورغبة بنسيان كل ما حدث وان تستسلم كلياً لمشاعرها الجذلة بقربها منه فسمحت لسحره الشخصي الجميل.

اغلقت جيداً عينيها، كان الجرح عميقاً ومؤلماً كما لو انه حدث يوم امس، اذ لا تزال تحس بضغط يديه وضحكته المحتقرة حين دفعها بعيداً عنه بكل قسوة ووجه اليها اتهامات لم تحلم بسماعها من قبل. اتهمها بأنها كانت رخيصة، انانية، وانه لن يغفر لها مأساة اخيه طوال حياته.

حين وقفت السيارة، واستدار نحوها انحط حدث الماضي في ذهنها بالحاضر وتوقعت منه الغضب الا انه ابتسم في وجهها.

«اخشى ان يكون علينا مواصلة النقاش فيما بعد، متى ستلتقين بدوريل؟».

«غداً صباحاً، لن اتصل به الليلة لتأخر الوقت».

تناولت الملف ونظرت اليه قائلة دون ان تجرؤ على النظر بابتسامة:

«سأتصل بك صباح الاثنين».

«ذلك متأخر جداً اذ سأكون في باريس».

«كم سيطول ذلك؟».

«يوماً واحداً. ثم سأتوجه الى بون وسأعود الى المدينة يوم الخميس».

«سأتصل بك يوم الخميس اذاً».

وضع ذراعه على ظهر المقعد وتفحصها بدقة:

«انك غير ملائمة لهذا العمل كما تعلمين، اذ تتركين لي فرصة الاستغلال حيناً دون اعتراض».

ضمت شفتيها بقسوة متسائلة:

«حقاً؟».

«لو كان من الحدث اليه رجل اعمال خبيراً للتعامل بوضع معين منذ فترة طويلة».

وادركت ان ما يقوله ما هو الا تلاعب باعصابها:

«وهل تكفي مصافحة سيد مهذب لآخر بهذه المناسبة؟».

واختفت ابتسامة الرائعة اذ قال:

«هل تعتقدين ان التجارة عمل سادة مهذبين؟».

«في جيرنقفولد، نعم».

ووضعت الملف تحت ابطها ومدت يدها مرة اخرى لمصافحته.

«تصبح على خير وشكراً على ايصالي».

لم يتحرك من مكانه.

«الم تنسي شيئاً؟».

«لا اعتقد ذلك».

«الا تودين السؤال عن ستيوارت؟».

وشحبت فجأة.

«وهل سيغير سؤالي اي شيء؟ كيف هو في اي حال؟ تقبل حقيقة كونه مقعداً طوال حياته. اذ ليس لديه اي امل في غير ذلك».

«اتذكر ذلك. ليس في مستطاعي نسيانه».

«كلا؟ اجد ان نسيانك اكثر اقناعاً من تذكرك».

«لقد اوضحت ذلك من قبل ومنذ البداية. ما الذي تتوقع مني عمله

الآن؟ ان اشعر بالاسف لشيء لم ارتكبه؟ ان ارسل اعتذاري المهذب؟ اي فائدة في ذلك؟».

«لا فائدة اطلاقاً».

والتمعت عيناه اذ مد يده لاغلاق باب السيارة.

ومزق صوت انغلاق باب السيارة صمت الليل وزاد الامر سوءاً صوت المحرك. والتمعت الاضواء مثل عينين غاضبتين لحين اختفاء السيارة عند المنعطف، وعاد للطريق هدوءه.

ووجدت جيردا نفسها في المصعد دون ان تتذكر كيف وصلت الى هناك، واحست بتقلص معدتها عند توقف المصعد في الطابق الثاني وانفتح الباب بهدوء، واحست بالضغط يسري في اوصالها. اذ دخلت الشقة وجلست حالاً وصلت اقرب مقعد، حتى قبل ان تخلع سترتها.

وسقطت سترتها الحريرية الناعمة على الارض، حين تحركت لتسكب لنفسها قدح شراب. ورغم دفء الشقة، احست جيردا بالبرودة تسري في جسمها. وكأنما لو ان ما حدث طوال الامسية تسجل على شريط سينمائي، بدأت باستعادة كل التفاصيل: جوردان بلاك واقفاً عند الزاوية، ثم مواجهتها اياه عند تناول العشاء، عيناه المتهمتان. خيل اليها ان قوته بالسيطرة عليها قد تلاشت بعد مضي ثلاث سنوات، الا ان ما حدث اكد عكس ذلك.

حدقت في ظلال الغرفة طوال الليل، وحاولت جيردا الامساك بما يعيد اليها طمأنينتها، وتمنت ان يستعيد هوارد صحته قبل يوم الخميس. حينئذ لن يكون هناك اي سبب للقاء جوردان مرة ثانية. وسيغرق الماضي في ظلام النسيان من جديد.

الا انها لم تحصل على السلام المتوقع، ولمعرفتها الجيدة بطبيعة جوردان بلاك، ادركت انه لم ينته منها بعد.

٢- غريب يطرق الباب

حين استيقظت جيردا صبيحة يوم السبت، كانت لا تزال تعاني من ثقل لقائها بجوردان. ورسم الارق خطوطه الزرقاء تحت عينيها فظلل لونها الوردي الطبيعي.

اعدت افطارها ببطء لتشغل نفسها حتى بلوغ الوقت الملائم للاتصال بهوارد. وحين أشارت عقارب الساعة الى التاسعة وضعت صحيفة الصباح جانباً واسرعت لتلتقط سماعة التلفون.

ظل جرس التلفون يرن في الجهة الثانية دون جواب وبقيت منتظرة عدة دقائق ثم اعادت سماعة الهاتف الى مكانها. ربما عانى هوارد طوال الليل ولجأ للنوم في ساعة متأخرة ولا بد ان السيدة ماكغروث، مدبرة منزله، غير موجودة لانها ذهبت تتسوق.

دارت جيردا في شقتها بلا غاية، تمزقها الرغبة في الاتصال بهوارد باسرع وقت ممكن، وفي رغبتها في تقدير ما يحتاجه الرجل المريض من راحة. ومع ذلك، اذا لم تتصل به الآن ربما سيحس بالقلق. انتظرت حتى التاسعة والنصف ثم توجهت نحو الهاتف، ولكنها وفي لحظة التقاطها سماعة الهاتف، ارتجفت لسماعها الجرس يرن، ثم التقطت السماعة بسرعة هامسة لنفسها اسم هوارد...

وكادت ان تنطق باسمه مرحبة، الا ان كلمات وصوت المخاطب جعلت عينيها تتسعان وصدمت لسماع الخبر حتى انها قالت:

«آه، كلا، كلا».

بعد لحظات، اعادت سماعة الهاتف الى مكانها وبدأت تتوارى خلف

حزنها، ومحتوى المكالمة ان هوارد سقط فاقداً وعيه في الليلة الماضية، اثر نقل من نزيف في معدته ونقل فوراً الى المستشفى واخبرتها السيدة ساندرز بانه لا يزال في حالة خطرة.

حاولت جيردا استعادة رباطة جأشها، وقد نسيت في خضم الخبر السيء جوردان بلاك. وبينما قضت طوال ليلتها السابقة قلقة على نفسها، كان هوارد يعاني من آلامه المبرّحة وبشكل اسوأ مما توقعت. ورغم ان السيدة ساندرز اتصلت بالمستشفى قبل اخبار جيردا، الا ان رغبتها بالاتصال بالمستشفى من جديد غلبت على تفكيرها السليم القائل بان لا اخبار جديدة عنه.

وجاءها صوت الممرضة المشرفة على الردهة هادئاً ومثيراً للاطمئنان، وحاولت جيردا ان تتحدث بهدوء بدورها موضحة هويتها، متذكرة ان اغلب المستشفيات تتبع قانوناً عاماً بعدم اعطاء المعلومات عن حالة المرضى الا للمقربين منهم، فقالت:

«ليس للسيد هوريل اقرباء، باستثناء ارملة شقيقه في اسكوتلندا».

«الامر واضح الآن، فقد كان السيد هوريل مريضاً جداً في الليلة الماضية ولم يستطع تزويدنا بالمعلومات اللازمة، كما كانت ربة منزله قلقة جداً».

«كيف حاله الآن؟».

«لا يزال مريضاً، الا انه افضل من السابق».

«هل استطيع زيارته؟».

«لحظة واحدة...».

وتلا ذلك لحظات صمت طويلة، وطرقت سمعها اصوات بعيدة تتحدث، ثم سمعت صوت الممرضة من جديد، قائلة:

«نعم، في استطاعتك زيارته، ووقت الزيارة من الثالثة حتى الرابعة بعد الظهر، ولكن عليك رؤيتي قبل دخولك الردهة».

كانت لهجتها آمرة وشكرتها جيردا بامتنان، وتذكرت اوقات الزيارة بمرض امها قبل اربع سنوات حين سمح لها بالزيارة في اي وقت شاءت. ترى هل يدل التشديد على خطورة وضع هوارد الصحية...؟

وكانت على وشك اليأس من حلول وقت الغداء لانتظارها بفارغ

الصبر، الا انه حلّ اخيراً، وغيّرت ملابسها استعداداً للذهاب الى المستشفى. هل يحتاج اي شيء؟ لم يكن من المحتمل ان يحتاج لأي طعام في هذه المرحلة، كما ليس في استطاعته القراءة حتماً. هل تذكرت السيدة ساندرز كل حاجياته الشخصية، البيجاما، المنشفة، آلة الحلاقة... الخ؟ ولكن ربما لن يحتاج لأي منها الآن. والاهم شيء في الوقت الحاضر هو رؤيته.

ورغم استعدادها لمشاهدة المستشفى والمرضى لكنها لم تستطع مقاومة صدمتها رؤيته بجانب الردهة حيث وضع هوارد. بدا الرجل الضخم اكبر من عمره بعدة سنوات وبدا وجهه شاحباً الى حد مماثل فيه لون بشرته لون المخدة، وكل ذلك تمّ خلال ساعات قليلة فقط. والى جانب سريره، وضع محلول البلازما، وكان مغطى بشرشف بيضاء كانت تبدو وكأنها تمحو شخصية المريض.

فتح عينيه وبدا فيهما التماع دل على تعرفه عليها، حاول الابتسام وبلعطفة انحنت وقبلت خده.

همست بسرعة:

«لا تتحدث، اذا كنت متعباً جداً».

«جيردا رؤيتك امر جيد».

واشار بيده فامسكت بها ولم تستطع كبح دموعها اذ رأت شحوب اليد وبروز عروقها الزرقاء فاتضحة مقدار ما فقده من الدم.

استقامت ونظرت حولها باحثة عن مكان لتضع فيه باقة الورود، مجموعة من الزهور الصفراء اشترتها من محل الزهور القريب من المستشفى، قال:

«انها جميلة... ما كان عليك تكبد المشقة».

وضعت جيردا الزهور في مغسلة اليد الصغيرة، وحين استدارت رأت علامات التساؤل في وجهه فادركت ما اراد السؤال عنه. جلست الى جواره وقالت:

«حذرتني الممرضة الا ابقى فترة طويلة... والا اقلقتك، لذلك لا تقلق لي اهتم بصحتك».

وابتسم بقلق لي.

«يجب ان اعرف والا سأقلق، ماذا حدث في الليلة الماضية؟».

«لم يكن الامر سيئاً».

وحاولت الحفاظ على هدوء صوتها، عارفة في الوقت ان عليها ان تكون صريحة معه.

«لم يوقع جوردان بلاك العقد ولم يعد بشيء، كما توقعت انت تماماً، وسيذهب الى باريس يوم الاثنين، ثم الى بون، هكذا علينا الانتظار حين عودته».

فكر هوارد بما قالته لحظة ثم قال:

«هل كان موقفه مبشراً بالخير؟».

«لست متأكدة تماماً. اذ بدا عليه وكأنه يستهين بحضوري».

«ولكن هذا ما اخبرتك به من قبل، لا بد انك جذبت اهتمامه اذن».

واذ نظرت بعيداً قال هوارد مبتسماً:

«ارجو انك تذكرت ذكر العقد في طريق العودة الى البيت».

«نعم، وعدة مرات قبل ذلك».

واستدارت جيرونا اذ سمعت صوت انفتاح الباب ونداء الممرضة. وقالت جيرونا:

«اعتقد بانهم سيرمونني خارجاً، هل تريد مني جلب اي شيء غداً؟».

«كلا، يا عزيزتي ولا حاجة لك لقضاء يوم عطلتك في المستشفى».

الا انها كانت مستعدة للمجيء، رغم اعتراضه، ولاحظت في مساء اليوم التالي، تحسن صحته قليلاً، وشعرت براحة غريبة اذ لم يعاود ذكر مسألة العقد وشكرت ضمنياً جوردان بلاك لرحلته خارج البلد، وحدث ان اوقفتها الممرضة يوم الثلاثاء وهي في طريقها الى الردهة، فأحست برجفة خوف تسري في اوصالها، تابعة الممرضة الى مكتبها ثم دخل طبيب الى الغرفة، وبلا مقدمة قال:

«نحن نقدر زيارتك له يا سيدة ماتسون، لكننا لسنا مرتاحين من بعض النواحي».

شعرت بالتصلب وقالت:

«وماذا تعني يا دكتور؟».

«عالجنا حالات مشابهة من قبل، رجال الاعمال المرضى وزوارهم يجلبون معهم مشاكل مكاتبهم، واضطررنا في الشهر الماضي الى منع زيارة احد المرضى، حين بدأ المريض وهو رجل اعمال بادارة اعمال شركته من

سريره في المستشفى، واذ وصلت اوراقه الخصوصية وسكرتيرته مع المسجل اضطررنا الى ايقاف ذلك. نحن لا نتهمك بالامر نفسه ولكنني احاول ابداء اهتمامي بصحته، هناك شيء ما يقلقه اليس كذلك؟».

«نعم، عقد مهم».

«حسناً عليك التخفيف من القلق، ما حدث لزوجك كان شيئاً خطراً، وقريباً من الموت، ربما كان ذلك العقد الاخير في حياته، حيث فقد اربعين بالمئة من دمه، وهو ليس شاباً، هل توضح الامر الآن؟».

«تماماً، وتستطيع الوثوق بي ولن يجد السيد دوريل سبباً للقلق وساهتم بذلك».

ولكن هل تستطيع هي؟ في استطاعتها مراوغته في الاجابة وطمأنته ان كل شيء على ما يرام، واعدة اياه انها ستخبره بكل التطورات ولكن كيف تستطيع منحه ما سيعيد الطمأنينة الى ذهنه حقاً؟

واذ مرّ الوقت سريعاً زاد قلقها لمعرفتها بما يدور في رأس هوارد ويوم الخميس جعلها مصممة ان تحصل على العقد، ولكن كيف؟

تبدو المسألة سهلة نظرياً، كل ما عليها عمله هو سؤال السيد ميرك الغاء كل ارتباطاته والاهتمام بصفقة ويطوره بعد ان تسلمه كل شيء. ولكن الامر لم يكن بهذه السهولة عملياً. لقد الغى ميرك عطلته وعاد ليمارس مهام عمل دوريل ورغم انه كان ماهراً في ادارة الامور المالية الا انه كان عاجزاً عن التعامل بطريقة دبلوماسية. وكان هوارد هو الخبير الاول في دعوة رجال الاعمال وتسليتهم.

قال السيد ميرك بلا حماس، بعد ان ذكرت له توضيحاتها غير المقنعة:

«حسناً، اذا كنت تشعرين بانك غير قادرة على اجتذاب بلاك فمن الافضل ترك الامر لي».

قالت بتواضع:

«نعم يا سيد ميرك».

الا انها ورغم محاولاتها المتواصلة للاتصال بجوردان، لم تستطع العثور عليه، وطال الامر حتى يوم الجمعة، فنقلت الخبر الى ميرك فقال:

«لا تهتمي، قد التقي الليلة بكينغسل في النادي».

الا انها كانت واثقة، في قرارة نفسها، بانه امل شبه يائس، اذ علم

التجارة لا يتعامل بالعواطف وشكت فيما لو كان لكلمة كينغسلي اي تأثير الآن. كانت له قوته ونفوذه مع فان لورن. اما مع ويتفورد فلا بد انه يسائل نفسه الآن عن ماهية مركزه. وبدا كأن ميرك قرأ افكارها، رغم استغراقها في تغطية الآلة الطابعة وترتيب مكتبها، فعلق:

«هذا اذا كان كينغسلي محتفظاً بمنصبه».

«هل ستطلعني على الأخبار، اذا ما حدث شيء جديد؟».

وظهرت على ملامح وجهه القاسية علامات التفهم وقال:

«بالتأكيد، اذا كان الامر مثيراً للتفاؤل. ولن افعل ذلك اذا كان ما سيحدث هو العكس».

اومأت برأسها بحزن قائلة:

«نعم، شيء من هذا القبيل».

وعدها ان يتصل بها تلفونياً، في شقتها، صبيحة اليوم التالي، لكنه لم يتصل حتى الساعة الحادية عشرة وظنّت انه نسي او فشل في الاتصال بكينغسلي، وحدقت نحو النافذة وتأملت من خلالها ازدحام السيارات والناس يوم السبت. كلا لم يعد باستطاعتها اخفاء مخاوفها، اذ لم تدع لها احداث الأسبوع الماضي اي احساس بالتفاؤل. فلو لم يقع هوارد فريسة المرض ولو لم تذهب للقاء جوردان لكان العقد الآن في متناول هوارد، لا شيء يستطيع اقناعها بأنها لم تكن السبب في اعاقة التصديق على المشروع طوال الأسبوع.

ثم كانت حمقاء اذ جعلته يحسّ ان قراره سيؤذيها شخصياً. لو انها...

ابطأت السيارة الخضراء المتوجهة نحو بنايتها، كما حاولت سيارة شحن صغيرة الوقوف في مكان غير مسموح الوقوف فيه، وفكرت بأن بعض السائقين حمقى... كانت السيارة الخضراء مارسيدس، وانحنت جيردا محاولة تفحص ما جرى الا ان رأسها ارتطم بزجاج النافذة. وقفت سيارة المرسيدس وترجّل السائق، وانعكس ضوء النهار على الشعر الفضي ولاحظت ارتسام صورة الرجل على الباب بعد انغلاقه، القى جوردان بلاك نظرة على البناء وبوابته العالية ثم سار باتجاه المدخل. تلك الخطوات السهلة، الخطوات المتميزة... كلا انه ليس قادماً لرؤيتها!

وقفت جيردا في مكانها مرعوبة ثم اسرعت الى المرآة ونظرت الى

ماكياجها وحاولت ان تتذكر لما كان وجهها بحاجة ماسة له. كلا، لن تسرع لتمشيط شعرها ووضع احمر الشفاه. كلا لن تفتح الباب...

حين سمعت جرس الباب بفزع وفتحت الباب تذكرت قرارها الخاطف بعدم فتح الباب. ورأت عينيه تحدقان في وجهها ثم تنحدران الى جسدها وقدميها واحست بنظرته عليها، قال:

«حسناً، هل ستبقيني عند الباب طوال اليوم؟».

تراجعت، محاولة اخفاء قدميها العاريتين، ثم دعته الى الصالون قبل ان تلبس [illegible] ما وتتوجه بعد ذلك الى غرفة النوم لترتدي حذاءها.

«بحذائك او بدونها، الامر سيان بالنسبة اليّ».

قال مخاطباً اياها، بينما كان واقفاً قرب الباب يراقب خطواتها المتعجلة والخجلى:

«بل ان مظهرك غير الرسمي افضل بدونه».

«صحيح؟ هل تريد ان تشرب شيئاً؟».

«كلا، انجح دائماً في تفادي الشراب حتى منتصف النهار».

وتبعها الى الصالون واسترخى على الكنبة المريحة ثم قال:

«سأجرب القهوة».

واحست بنظراته تخترق ظهرها، اذ سارت متوجهة الى المطبخ، خلال الحاجز راقبته وهو يشعل سيجارته ثم نهض ليبحث عن منفضة سجائر، وخلال نظراته رأت الصالون الفسيح الذي اختارت اثاثه والوانه المتناسقة مع بليز وكيف قررا تصميم كل شيء وفق الطراز الاسكندنافي. ووقف يتفحص تخطيط صورتها، التخطيط الذي اتمه بليز بعد اسبوع من زواجهما، ثم دخلت حاملة الصينية، فادار رأسه قائلاً:

«كما رآك بليز؟».

«اظن ذلك، هل تريد سكراً في القهوة؟».

«كلا، شكراً، يجب الا يرسم الازواج زوجاتهم».

وعاد الى مكانه في الكنبة، ثم واصل حديثه:

«وفي الحقيقة يجب الا يحاول المحب رسم صورة حبيبته».

بقيت صامتة، جالسة باستقامة في كرسيها المجاور للنار.

«الصورة ليست حقيقية».

«هل هنالك صورة يعجبني؟».
«انه نقيض مثير للتصوير، او ربما لا توافقيني الرأي؟».
تصلّبت في مكانها بينما ابتسم بتهكم.
«ارى انك لم تنس، هل كان هذا سبب فرض بليز لانطباعه الجديد عن فتاة التقويم العالمي؟».
وضعت جيردا كوب قهوتها جانباً وقالت بحدة:
«لم آت الى هنا لمناقشة ذلك. ومن الأفضل ان تخبرني عن سبب مجيئك».
وتقوس حاجبه تعجباً.
«سؤال غريب من فتاة اتصلت بمكتبي سبع مرّات خلال اليومين الأخيرين».
«السيد ميرك اتصل بمكتبك سبع مرات».
«لا تراوغي، كيف صحة دوريل؟».
«افضل بقليل. الا انه لا يزال مريضاً جداً».
«هل هنالك ما يشير الى عودته القريبة الى بيته؟».
«كلا».
ونهضت لتأخذ قدحه الفارغ، الا ان ذكرى شيء ظنت انها نسته منذ فترة بعيدة جعلها غير متوازنة. فاهتز الكوب بين يديها وهي تضعه في الصحن الصغير وسقطت الملعقة الفضية على السجادة، وكان رد فعل جوردان اسرع منها بكثير فانحنى ملتقطاً الملعقة ثم تناول الكوب والصحن من بين يديها.
«انك عصبية اليوم، هل لديك التزامات معينة خلال العطلة؟».
«لماذا؟».
وتذكرت طريقته الماهرة في تغيير المواضيع.
«هل تريد رؤية السيد ميرك؟».
«كلا، اذا كانت لديك اي مواعيد فالغيها».
«بهذه السهولة؟».
جلس ثانية وقال:
«امامك عطلة نهاية اسبوع حافلة بالعمل».

«اسمع ارجو ان تخبرني بصراحة، ماذا عن عطلة نهاية الأسبوع؟».
«انت تريدين التحدث عن العقد، حسناً، سنناقش الموضوع اليوم وغداً، سآخذك معي الى فرين ريج مباشرة».
«ولكن. . .».
وانتابها خوف غريب:
«ولكنني لا استطيع . . . ليس دون ان ارتب حالي، ثم انني سأذهب لزيارة هوارد مساء يوم غد، و. . .».
«لن يهتم بذلك، فما سيجري سيكون لمصلحته أليس كذلك؟».
ولم تسمع سؤاله القصير الجاف، الذهاب الى فرين ليومين، ومع جوردان بلاك، وصرخ كل شيء في داخلها مطالباً اياها بالرفض لم يكن العقد مهماً بالنسبة لوينتورث الى حد يكرّس فيه جوردان بلاك عطلة نهاية الاسبوع بكاملها لمناقشته. لا بدّ ان ما يهدف اليه شيء آخر، شيء مخادع يتعلّق بها، واحست به يراقبها وملامحه تشير الى ثقته العالية بنفسه، مدركاً بانها ستتبع خطواته.
فتحت فمها للرفض ثم تذكرت عبارة دوريل وعلمت ان في هذا نهاية امله بالحصول على العقد، كانت عاجزة عن الرفض ولم يكن باستطاعتها خذلانه الآن. قالت:
«عليّ حزم بعض الاشياء القليلة».
وتوجهت الى غرفة النوم.
«بالتأكيد».
واسترخى في مقعده واضعاً قدميه على المقعد الصغير المجاور، ثم اضاف:
«تذكري بان الرحلة غير رسمية، وانني استطيع التباحث بشؤون الاعمال قرب ساحل البحر او في مكتب الشركة».
وتنبأت هي بذلك الا انها ستحاول جهدها الا يتم التباحث في العقد قرب ساحل البحر، فكّرت بالكآبة واضعة بعض ملابسها في حقيبة صغيرة.
كان الجو صاحياً والشمس مشرقة مما دعا غالبية سكان المدينة للجوء الى البحر فاكتظت الشوارع بالسيارات، الامر الذي اشعر جيردا بالامتنان لانه

شغل جوردان بلاك عن الحديث اليها، منذ ثلاث سنوات قامت بالرحلة نفسها، جنوباً قرب الساحل، حيث يلجأ جوردان عادة كلما احسّ بالتعب، وجعلها الطريق تستعيد العديد من الذكريات المريرة واصبحت مشاعرها اكثر سوداوية كلما اقتربا اكثر من نهاية الرحلة، ومجرّد جلوسها بجانبه اشعرها بالقلق، اما العودة الى مكان الذكريات . . . ذكريات تحققت منذ ثلاث سنوات فهو امر لم تحسب حسابه بعد.

كان الوقت عصراً حين اتخذ جوردان طريقاً جانبياً حول القرية. وامتنعت عن سؤاله حين اوقف السيارة امام كوخ صغير وقال:

«سنتناول الشاي هنا».

كان في الصالة الصغيرة اربع طاولات فقط، وباستثناء زوجين شابين وطفلهما الصغير، بدا المكان خالياً من اي شخص آخر. وحين قدم اليهما الشاي والكعك، فضّل جوردان تناول الشاي وحده ثم قال:

«قلت باننا سنصل عند السابعة».

ونظر اليها بشكل يتحدّاها فيه ان تناقش ذلك، الا انها اكتفت بالقول:

«لديك ثلاث ساعات اضافية اذن».

وساد بينهما الصمت وشغلت نفسها بالنظر خلال النافذة، الى المكان الريفي الجميل وهدوء المنطقة مع حضور جوردان وتوتر اعصابها المتزايد بمرور الوقت، رغم حرصها على عدم اظهار قلقها، ثم تحرّك في مقعده متجهاً الى السيارة.

«الى اين سنذهب الآن؟».

قال بادئاً تشغيل السيارة:

«سنطوف حول المنطقة قليلاً. ثم نسير قليلا بعد ذلك، لأنني بحاجة الى بعض الهواء النقي».

وبدت ملاحظته واضحة بما فيها الكفاية، الا ان جيردا لم تستطع غير النظر اليه جانبياً، الامر الذي ندمت له فيما بعد، حيث ادار رأسه باتجاهها وارتسمت على وجهه ابتسامة تهكم غريبة، وتحاشت النظر خاصة الى وجهه وشفتيه، وقال:

«هل لديك اي اعتراض؟».

بعد مسير اربعة اميال، ظهر البحر امامهم، فاوقف جوردان السيارة في

مكان بعيد عن الطريق العام، واطفأ محرك السيارة، استدار نحوها وبدأ قلب جيردا بالخفقان بسرعة.

«حسناً لم لا تحدثني عن الامر؟».

«اتحدث عن ماذا؟».

«عن سبب مجيئنا الى هنا».

«قلت انك بحاجة الى هواء البحر النقي».

«صحيح! انك لم تخطئي اطلاقاً».

وترك السيارة سائراً باتجاهها وكان من المستحيل تجاهل يده الممدودة لمساعدتها على الترجل على الارض غير المستوية.

واحتفظ بيدها في يده اذ بدأ الانحدار الى الساحل وكانت واثقة بمعرفته رغبتها في التخلص من قبضته والانطلاق حرّة وحدها، بدأ الصغير بعد ذلك كأنه لم يلاحظ تعثر خطواتها عند اقترابها من البرز الطباشيري، قال بلا مبالاة:

«هل لا تزالين بحالة سيئة؟».

«نعم».

وجاء اعترافها اجبارياً اذ علمت ما الذي سيتبع ذلك.

«تخلى ستيوارت عن الابحار كما تعلمين».

«توجب عليه ذلك، انه امر مؤسف، اذ احب الابحار كثيراً».

ولعقت شفتيها الجافتين واحست بالألم يسري في جسمها، وتسلق جوردان الى الصخور وفرش السترة الطويلة على الارض ثم انحنى ومد يديه ليجذبها، وشعرت بانها واقعة تحت سيطرته اكثر واكثر، وامسكت بيديه فجذبها الى جانبه، وللحظة ظنت بانه سيجذبها اكثر ويحضنها بين ذراعيه، الا انه حررها واشار لها بالجلوس.

جلس جوردان في وضع مريح وحدق في البحر.

«اعتدنا جلبه الى اليخت في كرسيه المتحرك بعد ان صمم له مكان خاص ليضمن سلامته، الا انه كره ذلك خاصة بعد ان ادرك فشله في المشاركة بأي شيء، وتحولت كراهيته الى غضب شديد، وتحولت الرحلات البحرية الى تعاسة للجميع، لذلك قررنا، في النهاية بيع اليخت. بعد ذلك، يئسنا من محاولة اثارة اهتمامه بالخروج من البيت، لأنه رفض تعلم

قيادة السيارة الخاصة بالمقعدين كما رفض الخضوع لأي علاج، كان يجلس لساعات متواصلة وبيده كتاب لا يرغب حتى بقلب صفحاته، وتحول الى مخلوق لا يستطيع احد الحديث اليه، وبدأت تنتابه نوبات غضب يلعن فيها ساقيه العاجزتين، ويلعننا لأننا نستطيع السير بينما عجز هو عن ذلك».

بقي صوته محايداً طوال فترة حديثه وملامحه قاسية كالعادة، واستمر قائلاً:

«استمر الامر عدة اشهر، الى ان عانت والدتي من انهيار عصبي، فأرسلتها الى ايطاليا ثم الى الجزر اليونانية بصحبة مرافقة لها، وبقيت انا وحدي مع ستيوارت، ونجحت بعد فترة قصيرة في اعادته الى الحياة، لأنه اكتشف اهتماماً بالرسم وخاصة بالحركة الانطباعية الجديدة، كانت لوحات ستيوارت مشابهة للكوابيس الليلية، الا ان ما كان مهماً هو ظهور الاهتمام بشيء ما، لكنني لم استطع البقاء معه فترة غير محددة محيطاً اياه بالناس والشمع، وحين عدنا الى البيت جعلته يستقر في غرفتين ريثما وبدأ تدريجياً العودة الى انطوائيته ويأسه. ولكن مع اختلاف ضئيل: بدأ يتقبل مصيره».

تحرك جوردان ونظر مباشرة في عيني جيوردا مضيفاً:

«الا انه لم ينس ابداً».

فقالت:

«كما لم تنس انت».

وفقدت سيطرتها على نفسها نتيجة لرتابة صوته واستطراده في ذكر التفاصيل المؤلمة، ورفعت يديها المرتجفتين الى وجهها متسائلة:

«لماذا؟ لماذا تواصل لومي على عجز ستيوارت؟ ما حدث كان مجرد حادث».

«نحن نعلم بانه كان حادثاً، تعرف اصطدام ستيوارت، الا انني اعرف سبب الحادث، رغم انه يرفض حتى الآن لومك».

«لماذا تواصل لومي انت؟».

سألت بمرارة.

«لانك لو حافظت على وعدك لاختلف الامر، الا انك لم تفعلي ذلك، كنت انانية، ولم تكوني قادرة على الاكتفاء برجل مقعد، اليس كذلك؟».

تحاشت الاجابة على سؤاله وهزت رأسها بأسف، كان من المستحيل اقناع جوردان بسوء حكمه، لقد حاولت منذ ثلاث سنوات، القيام بذلك وفشلت. قالت:

«هل هذا سبب جلبك اياي الى هنا؟ ان تفتح الجرح القديم مرة اخرى، انت فارس تعلمني بكراهيتك وحقدك. لا اظن ان ستيوارت يكرهني الى هذا الحد رغم انه هو المصاب، الا ان كل ما تهتم به هو رغبتك في الانتقام، ولكن لماذا؟ ما الذي فعلته لك؟ وما فائدة الحقد الآن؟».

تساءلت بمرارة. هز كتفيه استهجاناً بدون ان يتأثر بألمها.

«لا ادري، كل ما اعرفه هو رغبتي بالعودة منذ مجيئك الى تلك الليلة، لأرى هل تغيّرت خلال ثلاث سنوات، او اذا ما زلت قادرة على الوقوف بشكل محايد، كما لو ان شيئاً لم يحدث».

«هل تعني بانك اردت اقناع نفسك بصحة موقفك السابق؟ وان الشك لا يراودك، وانك لا تشعر بالذنب لاهانتك اياي؟».

«لم يكن هناك شك في الموضوع. كنا نعلم ان ستيوارت لم يكن في وضع عقلي يسمح له بقيادة السيارة تلك الليلة. وكان سبب ذلك جيداً: فقد ظن انك قبلت الزواج به ثم اكتشف بخداعك له مع رجل آخر. وقاد السيارة كالمجنون. ما الذي توقعته؟ ان يتقبل الامر بصمت؟ لو كان عاقلاً لفعل ذلك بالتأكيد».

ثم اضاف جوردان بمرارة:

«وكان عليه اكتشاف حقيقتك وحقيقة كونك امرأة انانية، باحثة عن ثروة تكسبها».

«هل ما زلت تصدق ذلك؟ رغم انني اخبرتك انني كنت مع بليز في تلك الليلة، بعد . . .».

وتوقفت غير قادرة على الاستمرار فلوى جوردان شفتيه علامة عدم التصديق.

«وتزوجت بليز، اليس كذلك؟ آمل انه اقتنع بصفقته».

وارتعشت بشكل لا ارادي لقسوته واستهزائه بها، ثم قال:

«لم يكن هناك تفسير آخر لسلوكك الزوجي، حتى اذا استثنينا وجود بليز، حين اكتشفت عدم قدرتك على اخفاء الحقيقة، اجبرت على الاعتراف

بأنك كنت مع ستيوارت في السيارة تلك الليلة، وصدقيني لو ان ذلك الشاهد الذي رآك تهربين من موقع الحادث، كان اكثر ايجابية لتكفل بان يذكر اسمك في كل صحيفة في البلد ولتشوه اسمك الى الابد، كاشفاً عن حقيقتك التافهة، ولكان ذلك اقل مما تستحقين حيث تركته وحده، فاقداً وعيه وهربت لتنجي بنفسك، ثم بدأت باطلاق الاكاذيب لحماية سمعتك».

ورأت الاحتقار المرتسم على وجهه.

«ولكن الامر لم يكن كذلك اطلاقاً. لم لا تصدقني؟ لقد عدت الى مكان الحادث، في البداية ركضت طلباً للنجدة، ركضت باحثة عن هاتف عمومي وكان على بعد عدة اميال، وحين عثرت عليه كان عاطلاً، وواصلت الركض. . . ».

«من الغريب اننا لم نعثر على احد يثبت انك استدعيت سيارة الاسعاف. لماذا تضيعين وقتك؟ انا نعلم جيداً ما حدث، كنت مذعورة الى حد انك هربت باقصى سرعة».

«لم اهرب، بل عدت الى مكان الحادث، ولكنني كنت متأخرة».

«اجعلك محقة في هذا: كنت متأخرة».

«لكنني اخبرتك، اتصل احدهم بالمستشفى من المنزل، لا بد انه كان راكب الدراجة النارية، وحين عدت لم اجد احداً، اذ تم نقل ستيوارت الى المستشفى، ولم يكن في امكاني عمل اي شيء».

كررت جيرفا حديثها بتعاسة.

«وأسرعت الى منزلك محاولة التظاهر بعدم معرفتك باي شيء، وصدقتك في البداية رغم ان شحوب وجهك فضح الحقيقة واحساسك بالذنب، ثم حثني ستيوارت على تجنب ذكر اسمك في القضية ولم يرغب بالتحدث في اي اشكال، وماذا فعلت انت عرفاناً بالجميل؟ هجرته وتزوجت رجلاً آخر، وها انت تتساءلين لماذا اشعر بالمرارة؟».

شعرت جيرفا بالألم في حلقها، وادركت انها لن تستطيع اقناعه ببراءتها ولا فائدة من اخباره بان ما حدث لم يكن بسببها ما لم ترغب باخباره الحقيقة كاملة. وهو شيء لن تفعله ابداً. اذ سيؤدي ذلك الى ايلام آخرين، وساعدها احساسها بالشفقة على الصمت وما دام ستيوارت قد اختار

الصمت، فقد توجب عليها فعل الشيء ذاته، ولكن الى متى ستبقى متحملة اتهامات جوردان المريرة؟

تشنجت يداها وغالبت دموعها. ثم قال جوردان فجأة:

«لو كنت صادقة لما استطعنا لومك الى هذا الحد. ونحن لسنا قديسين كما ان الرجل لم يعد يتوقع بقاء الفتاة ملاكاً بريئاً ولكنك خدعت الجميع بظهورك البريء منذ البداية، فلو اخبرت الجميع ان هناك شخصاً آخر بدلاً من رمي شباكك حول ستيوارت، لتغير الامر، لكنك لم تفعلي ذلك، بل حاولت خداعي انا ايضاً».

صرخت معترضة:

«اوه، كلا، لم اخن ستيوارت، اذا توجب عليك ذلك ولكن لا تتهمني بخداعك».

«ألم تفعلي ذلك؟».

كان قريباً جداً منها وانتقلت نظراته المتأملة الى وجهها بطريقة اشعرتها بالحرارة تسري في جسمها.

«لا اتذكرك بغير ذلك، وربما لم تستطيعي حسم امرك في الاختيار بين الاخوين؟».

واصبح لنظراته قوة غريبة عليها.

«صدم ستيوارت حين جئت معه لاول مرة، في عطلة نهاية الاسبوع واخبرته بانك لا تحبين الابحار بالقارب، ادعاء كاذب، اذ ان صديقات ستيوارت يفضلن الابحار وقيادة سيارات السباق السريعة عادة، ولم تختر اي واحدة منهن التسكع في الضواحي الريفية مع شقيقه».

«لكنك طلبت مني ذلك».

ضحك بسخرية وقال:

«صدقتك اذ ان بعض الناس يخافون الابحار، والاصابة بدوار البحر تفسد على بقية الناس عطلتهم، فلم يبق امامي الا اختيار تسليتك بطريقة اخرى».

«قد لا تصدقني، لكنني كنت ممتنة لمساعدتك، لم اعلم حين قبلت دعوة ستيوارت انه سيبحر وانه توقع مني الذهاب معه».

«وهل كان اختيارك لبدلة السباحة صدفة ايضاً؟».

إنه لم ينس شيئاً، حتى ملابسها، حتى. . . وارتعشت.

«كانت فرصة سانحة انتظرتها طويلاً، أليس كذلك؟ لاختباري والتحكم إذا ما كنت صالحة للزواج من أخيك».

«كان لديك شوق رفيع في اختيار ما ارتديته، ذلك التايور الأزرق تعلوه السترة البيضاء ذات الأزرار النحاسية وصورة المرساة الحمراء الصغيرة. . . لا عجب أنك أثرت غضب ستيوارت حين رفضت الإبحار معه، ولم يراودني الشك في موقفك حينئذ».

«كلا».

أجابته بقوة عارفة بأنه مصر على كشف التفاصيل وحاجتها إلى الهرب من المواجهة.

أمسكت بحقيبتها ونهضت واقفة ولكن جوردان تحرك أيضاً، أمسك بذراعيها وأدارها لتواجهه، تعثرت وكانت على وشك الوقوع إلا أن ذلك لم يخلصها من قبضته.

«لم تكوني مستعجلة في المرة الأخيرة».

قال ببرود. حاولت التخلص منه إلا أنه هز رأسه، وابتسم بهدوء قائلاً:

«لم تحن فرصة الهرب بعد».

انكمشت إذ أحست بيده تلمس مؤخرة عنقها وتداعب شعرها الناعم مجبراً إياها على النظر إليه.

«أنت الآن في الثامنة عشرة ولست بريئة كالسابق يا جيردا».

أحست بقلبها يرتجف كما لو كان على وشك الانفجار وانتابها احساس بالضعف أعاق صراعها معه للتخلص من قيده.

رفع رأسه وكانت عيناه شبه مغلقتين تحت جفنيه.

«هل نسيت أول مرة عانقتك فيها؟».

هزت كتفيها وأدارت رأسها جانباً متحاشية النظر إليه.

«في ذلك الوقت شككت ولأول مرة بسوء حكمي عليك، حين جلسنا هنا في تلك الأمسية وابتعدت عني متراجعة إلى الوراء، مذعورة، وشعرك مبتل بماء البحر وبدوت صغيرة وبريئة إلى حد لا يتجرأ معه أي رجل على لمسك، وعانقتك لاكتشف حقيقة ذلك».

وضحك بنعومة وواصل حديثه:

«هل تعلمين ما فكرت فيه في تلك اللحظات؟ تخيلتك بطلة لاحدى قصص الأطفال، ظننت بأنك استعرضت على الرماد في قلبك. كم كنت مخطئاً».

أطلقت جيردا أنيناً مؤلماً فوضع يده تحت ذقنها ليجبرها على النظر إليه.

«كنت على وشك التراجع، حتى إنني أوشكت على تحذيرك من أخي لسمعته السيئة مع الفتيات».

توقف جوردان عن الحديث والتوى فمه بسخرية:

«لم أنس أبداً تلك اللحظة، حين وضعت يدك على كتفي واقتربت مني».

في مكان ما أطلقت نوارس البحر صراخها، وبدت الأصوات كلها صادرة من عالم آخر، فارتعشت جيردا من ثقل الذكريات، واستدعت كلماته الماضي بعذاباته وقارنته بالحاضر إذ تقف الآن في الموقف ذاته، قريبة منه وراغبة فيه، جوردان الآن وجوردان حينئذ، المساء الحار وملوحة البحر على جسديهما، كيف تستطيع اقناعه بأنه كان أول رجل يضع يديه عليها؟

سقطت يدا جوردان عن كتفيها فأحست بالضياع، كما لو أن جزءاً منها توقف عن الحياة، قال بغضب:

«سألت نفسي عن عدد الرجال الذين خدعتهم بنظراتك البريئة وتلك التي في القلب، خدعتهم إلى حد أنهم فقدوا عقولهم من أجلك».

ابتعدت عنه وكتفاها تشيران إلى انكسارها، وتساءلت بمرارة:

«وانك واثق من معرفتك بكل شيء، أليس كذلك؟».

«وأنا واثق الآن، لم أعرف حينئذ عن قضية التقويم السنوي، وأن ستيوارت اختار لنفسه فتاة اعلانات رخيصة، لو علمت ذلك في حينه، لتغير الكثير من الأمور وما كنت سمحت بالخطوبة».

«ليت لو أنك علمت، ليت لو أنني لم ألتق بك في حياتي كلها، لا شيء يجعلك تصدقني، إنك مصمم على تصديق افتراءاتك عني دون وجود برهان واحد على صحة ما تقوله».

وجذبها صوتها، وفجأة لم تعد تهتم حتى بتظاهرها بالكبرياء والعزة:

«كنت أول رجل عانقني بتلك الطريقة، لذلك فمهما كانت الصورة المرتسمة في ذهنك عني، فإنك ساعدتني على خطئها».

«ماذا؟ جيرودا ان الوقت متأخر لمثل هذا النوع من الاكاذيب».
«انها الحقيقة، وكرهتك ذلك اليوم بقدر ما كرهت نفسي».
«كراهية؟».
ولفظ الكلمة بلهجة شك وعدم تصديق:
«لأني حاولت خداعك؟».
«نعم، ولأني كنت حمقاء الى حد اني رقصت معك».
نظر اليها غير متأثر بالتماع دموع الغضب في عينيها وقال:
«وماذا لو رقصت؟ فتاة ترتدي تلك الملابس وتسير الى جانب رجل، وحدهما، ثم ذعرت وتراجعت متذكرة انك لا ترغبين في الاقتراب مني الى ذلك الحد وتظاهرت بالخجل والغضب».
ولمس خده بيده وتفحصها بنظرة باردة قبل ان يقول:
«لم تكن صفعة مقنعة ابداً».
وبدون وعي، شابكت يديها واحست كأنها صفعته لتوها، وتمنت لو تستطيع ايذاءه بقدر ما آذاها حتى الآن. الا ان الحافز اختفى بسرعة، اذ بدا غضباً ضد ان يلحقه الأذى، واستدارت لتنظر بعيداً.
«حسناً، ما الذي سيحدث الآن؟ هل تشعر بالاكتفاء؟ هل تريد مني العودة لاخبار جيرتنفولندز انهم خسروا الصفقة، وان منافسيهم فازوا بالعقد؟».
واستدارت لتواجهه قائلة:
«لم لا تقول ذلك؟ انك لا ترغب بمنحنا العقد. ان موقفك واضح».
لم يتغير تعبير وجه جوردان، بل انحنى والتقط سترته ثم نظر اليها قائلاً:
«يبدو ان دوريل لم يعلمك الكثير عن الجانب التجاري، اليس كذلك؟».
«لا ادري ما الذي تعنيه بقولك، الا اني اثق عادة بغرائزي».
«وما الذي تخبرك به غرائزك الآن؟».
«انني اضيع وقتي، وانك أنت أيضا تضيع وقتك».
«اذن ها انا هنا أضيع وقتي، كيف؟».
وقفز ثم مد يده لمساعدتها، الا انها تجاهلت اليد الممدودة وكانت على وشك السقوط.

«لا فائدة مما يجري، اذ انتهى كل شيء منذ فترة طويلة».
«وما الذي انتهى؟».
وبدا متمتعاً الى حد كبير بتعذيبه اياها ببطء وخاصة بأسئلته المتتالية.
«كل شيء، وانت تعرف ذلك كما اعرفه انا».
«اتظنين ذلك؟».
وحدق في وجهها الحائر وهز رأسه قائلاً:
«كلا لا اظن ذلك».
ورفع يده وسند خدها مضيفاً:
«لم ينته شيء بعد، بل انها البداية يا جيرودا».

٣ - الأفق المهجور

لم يتغير المكان كثيراً رغم مرور السنوات، ورغم توسيع الطريق الساحلي وتمديده الى مسافة نصف ميل، فإن البيت القديم بقي محتفظاً بعزلته وهدوئه وكأن المدنية لم تستوعب الخضرة المحيطة به كما هي منسية منذ قرون.

واحاطت اشعة شمس المساء الضبابية المنزل ونوافذه بلون ذهبي وخاصة عند التفاف السيارة قرب البوابة الخارجية، وزاد السلام المخيم على المكان من ثقل احساس جيردا بالتشاؤم وصدمت لاكتشافها ارتجاف ساقيها حين نزلت من السيارة، وتمنت، فجأة، لو انها لم تكن موجودة في الشقة عند قدوم جوردان لرؤيتها صباح ذلك اليوم، كما تمنت لو انها كانت قوية ما فيه الكفاية لرفض عرضه بقضاء العطلة معه.

دار حول مقدمة السيارة وانتشع ظله بظلها، ثم لمس ذراعها باحدى يديه وقادها الى جانب المنزل، حاولت ان تمنع نفسها من الارتجاف، ربما مرت ثلاث سنوات منذ سارت بالطريقة نفسها ولكن مع ستيورات ليقودها الى باب الحديقة المستخدم من قبل الجميع.

بقيت غرفة الجلوس الكبيرة كما هي، المقاعد العميقة المريحة، منضدة كرة الطاولة قرب النافذة، قطع الاثاث غير المتناسبة، الا انها كانت ملائمة لبيت استهدف وجوده راحة المقيمين فيه، الكتب موجودة في كل مكان، والقنينة الزرقاء لا تزال في مكانها، في الخزانة الصغيرة قرب الزاوية، وساءلت جيردا نفسها عما اذا كانت ام جوردان لا تزال كما كانت ربة بيت فخورة بنفسها. وكانت غرف المنزل الاخرى متناسقة وجميلة. إحيط بها

صمت يدفع الموجودين للتحرك بهدوء لئلا يؤثروا على كنوز السيدة بلاك، ربما اختلفت الأمور الآن، فكرت جيردا اذ تبعت جوردان عبر الغرفة الى قاعة صغيرة مطلية جدرانها باللون الأبيض، ولم تتذكر جيردا المكان.

«قمنا باجراء بعض التغييرات منذ زيارتك الأخيرة للمكان».

قال جوردان موضحاً.

«وهذا هو مكتبي في المنزل الآن، توجب علينا اجراء التعديلات بسبب ستيورات، فحولنا الطابق الأرضي للجناح الغربي الى شقة له بينما احتفظت والدتي بغرفة الجلوس الاصلية والجناح الواقع فوق شقة ستيورات، واصبح الوضع افضل بالنسبة الينا جميعاً».

وقف عند قمة السلم وأومأ مشيراً الى الجانب الأيمن:

«ارتاحي هناك، اذ لديك متسع من الوقت لحين حلول موعد العشاء. انزلي عندما تكونين مستعدة وسأكون موجوداً في غرفة الجلوس الكبيرة».

مد يده فاعطاها حقيبتها، تناولتها بصمت وبقيت واقفة في مكانها منتظرة انصرافه لكنه رفع حاجبيه تعجباً وقال:

«حسناً، ماذا تنتظرين؟ أو ربما تريدين مني مرافقتك لترتيب ملابسك؟».

«لن يكون ذلك ضرورياً».

ثم توجهت الى غرفة الضيوف، فتحت الباب واغلقته خلفها بعنف غير مناسب، بقيت ساكنة لعدة لحظات تفكر بسلوكه العدائي معها، الى حد استعادت فيه هدوءها وبدأت تعتقد بأنها موجودة في بيت ريفي جاءت لقضاء عطلة نهاية اسبوع هادئة فيه.

الا ان الأمر لم يكن كذلك، ولن تكون عطلتها هادئة اطلاقاً، ولاحظت لأول مرة عزلة المكان وخلوه من السكان، وضعت حقيبتها على السرير ثم سارت نحو النافذة، فوجدتها مفتوحة واحست بالنسيم يداعب وجهها فاستندت بمرفقيها على اطار النافذة والقت نظرة شاملة على المكان المحيط بالبيت، كانت تواجه مقدمة المنزل، فرأت الأرض المكسوة بالعشب تحيط بها ممرات ضيقة مزينة بورود مختلفة الألوان، ثم رأت مقدمة الرسيداس عند الجهة اليسرى. قطبت جيردا جبينها، محدقة فترة اطول في الأفق المهجور قبل ان تتوجه الى حقيبتها الصغيرة، فتحتها ورتبت اشياءها، علقت

بعضها في خزانة الملابس بينما وضعت ادوات الزينة عند المنضدة القريبة. رأت في المرآة عينيها وقد ظللهما التعب والقلق، واستدارت برأسها فجأة لتبعد عن نفسها عدم الاحساس بالراحة وبدأت تنظف وجهها بالمستحضر الخاص بذلك.

عليها الا تفقد اعصابها، كررت جيردا مخاطبة نفسها، اذ لن يستغرق الأمر اكثر من اربع وعشرين ساعة. يجب الا تدع جوردان يحس بخوفها منه. ماذا يجب ان تخافه؟ سألت نفسها محاولة رفع معنوياتها. ولكن الواقع كان شيئاً آخر. فجوردان يكرهها ويلومها على ما حدث، كما انه يملك القدرة على ايذائها، وخاصة من خلال رفضه ترقيع العقد مع حوارد، وان يؤذيها لأنها. . .

ورفضت جيردا مواجهة السبب الحقيقي، رافضة الاعتراف به. كلا، انتهى الأمر منذ فترة طويلة. فلن تدفع له فرصة معرفة قدرته على ارباكها ثانياً. وابتعدت مذعورة من مواجهة عينيها اللتين في المرآة. واعترفت اخيراً بأنها لن تحصل على راحة البال ما لم تبتعد بأقصى سرعة عن جوردان بلاك.

كان سكونها الظاهري مجرد قناع حاولت التمسك به وهي تنزل الى الطابق السفلي. لم تر حتى تلك اللحظة احداً، كما لم تسمع صوت احد في المنزل وبقيت الافكار السوداء محيطة بها وتحاول اختراقها مثل ظلمة لا تعرف مصدرها. وعكرها انتباهها ارتفاع مفاجئ، لسماع صوت فتاة منبعثاً من الباب نصف المفتوح، المجاور لغرفة الجلوس.

توقفت جيردا في مكانها واختفى الصوت، ثم سمعت جوردان يقول:

«كلا، ستحضر معه الليلة، لذلك عليك نسيان الأمر».

«لكنني رتبت كل شيء»، واراد هو ذلك، كانت هذه فكرته مبدئياً».

«لا تهمني فكرة من كانت، لن تأخذي ستيورات الى سرافيل الليلة، وفي امكانك. . .».

«في امكاني؟ حسناً، وتستطيع الآن نسيان الموضوع».

وارتفع صوت الشابة بغضب:

«لم يمضت ذلك دائماً؟ انك مستعد لعمل اي شيء، لتتخلص مني اليس كذلك؟ انك تخشى فقدانه، وخاصة اذا ما اخذته بعيداً عنك، لانك

اردت دائماً السيطرة عليه وتنظيم حياته حسبما تريد. لن تنجح هذه المرة،

هل تسمعني؟ واعتقد انك انسان يائس يجعلها تزوج به بعد ان خذلته. انه لا يريدها! انه لا يحبها. انه يحبني انا ولن تستطيع منعه من ذلك. . . انا. . .».

«اخرسي، او غادري المكان حالاً».

«لن اغادر المكان، كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذه الطريقة؟ انك. . .».

«سأخاطبك بالطريقة التي تعجبني. والآن توقفي عن الحديث مثل مراهقة غبية. اذ لديك الاسبوع بكامله لتستمتعي مع ستيورات، هل اطلب منك الكثير اذا ما سألتك احترام رغباتي امسية واحدة؟».

«رغبات؟ انك اكثر من دكتاتور، انك. . .».

«رجاء، اخبري ليونا انني ارغب برؤيتها».

«لست خادمة لك».

«اذا لم يعجبك الأمر، تعرفين ما عليك عمله».

وساد المكان الصمت، ثم سمعت جيردا صوت خطوات سريعة اعقبها صوت غاضب. وظهرت الفتاة، وجهها يحتوي شاحب لا يتناسب مع احمر الشفاه الغامق اللون والشعر الأسود المتناثر بلا ترتيب. كانت على وشك البكاء وتوقفت للحظة مندهشة، اذ كانت تصطدم بجيردا، حدقت في وجه جيردا الى ان جاء جوردان فنظرت بكراهية الى كليهما وغادرت المكان مسرعة، متجهة الى الصالة.

كانت ملامح جوردان قاسية وغاضبة وسيطر على صوته بسرعة طالباً من جيردا الدخول، وحل محل احساسها بالعطف نحو الفتاة، اذ كانت الاخرى ضحية لجوردان، احساس بمعرفة شخصية الفتاة.

بدأت الحديث متسائلة:

«هل كانت الفتاة سوزان لامونت؟»

«نعم، ابنة سير هيوبرت، هل تعرفينها؟»

«قابلتها مرة واحدة قبل سنوات».

ونظرت جيردا بعيداً قبل ان تستطرد:

«لم اكن متأكدة من شخصيتها».

«نعم، انها سوزان، الطفلة الثرية المدللة، انها في الثامنة عشرة من عمرها وعصبية الى حد لا يطاق، لا ادري ما الذي سيحدث لها اذا كانت في سن الكبر». قال بقسوة واضاف واطرق. «سأعود خلال لحظة».

وتركها مسرعاً وغادر الغرفة وشعرت جيردا بالامتنان لمغادرته غير المتوقعة، كي تجد وقتاً كافياً لاستعادة قدرتها على التفكير. ترى ما هو سبب وجود سوزان لاموند في هذا المكان؟ جلست جيردا على كرسي مريح، واخذت تحدق في فراغ الغرفة. كان والد سوزان مديراً عاماً لمؤسسة ويتفورد ولا يزال شخصية بارزة في عالم التجارة. وكانت هناك منافسة حادة بين سير هيوبرت وارنولد بلاك، والد جوردان يعود تاريخها الى سنوات بعيدة، اذ وضع سير هيوبرت مرتين اعمال مؤسسته في حقل الالكترونيات على حساب ارنولد بلاك، مما ادى الى اعلانه الافلاس. والآن بعد وفاة ارنولد، تقاعد سير هيوبرت واصبح جوردان بلاك الرجل المسيطر في مؤسسة ويتفورد. ولم تستطع جيردا فهم طريقة نجاحه في السيطرة على مركز مهم في مؤسسة عدو والده القديم لكنه نجح في ذلك بالتأكيد، واذا ما صحت توقعات هوارد فانه سيصبح رئيس مجلس ادارة المؤسسة خلال عام واحد.

هل كان الانتقام سبب ذلك؟ تساءلت جيردا. انه رجل قاس وبلا رحمة بالتأكيد، الا ان جيردا لم تستطع انكار مساوىء موقف سير هيوبرت في الماضي.

اين هو موقع سوزان في القضية اذن؟

استناداً الى حديثها، الى طريقتها في فضح موقفه، والطريقة التي خاطبها بها، بدا لجيردا ان العداوة القديمة حية كالسابق.

نهضت جيردا وخطت نحو النافذة، وشعرت بثقل قلبها في صدرها. ولم تعتقد ان ستيوارت كان يساعد سوزان على هزيمة اخيه، بحيث سيؤدي الأمر الى خلق عداوة اخرى بين الأخوين. اغلقت عينيها بيأس. ما الذي حدث خلال الثلاث سنوات التي نجحت فيها في تحرير نفسها من تأثير عائلة بلاك؟ ترى هل ستعود مرة اخرى، مجبرة، الى حياتهم العاصفة؟

ولم تسمع خطوات جوردان بلاك عائداً الى الغرفة. وجفلت اذ وضع يديه على كتفيها وقال بنعومة:

«ألم تسمعيني ادخل الغرفة؟».

«كلا».

وتحركت في مقعدها لتبتعد بهدوء عن ملمس يديه، وقالت:

«هل ترحب دائماً بهذا الشكل لتخويف الناس؟».

«ليس دائماً. فقط حين يستغرقهم حلم اليقظة. ماذا حدث؟ تبدين وكأنك تشعرين بالأسف لشيء ما».

بادلته النظرات الثابتة وهزت رأسها قائلة:

«توقفت عن الاحساس بالأسف منذ زمن بعيد، وخاصة حين تقدمت بالعمر».

«لا بد انه كان يوماً حزيناً».

هزت كتفيها فابتسم بطريقته المميزة ولاحظ:

«الا تشعرين بالأسف من اجلي؟».

«انك آخر شخص اشعر بالأسف من اجله. هل تنشد الشفقة الآن؟».

«اني لا انشد الشفقة اطلاقاً».

«انك لا تنشدها ايضاً».

«الا اني افعل ذلك يا عزيزتي».

وكان يخلط الشراب في مكان ما خلفها. متذكراً دائماً ان الشفقة ليست سوى مسكن مؤقت في احسن حالاتها وهي تزرع في الرثاء في اسوأ حالاتها. اي شراب تفضلين؟

وقال الجملة الأخيرة دون اي تغير في لهجته، فأجابت:

«عصير برتقال، رجاء. اين ستيوارت؟».

«يغير ملابسه استعداداً للعشاء في مناسبة حضورك».

وناولها العصير مواصلاً:

«ونتيجة للمشهد الدرامي القصير، طلبت من سوزان المغادرة طوال الأمسية».

«وهل لبت سوزان اوامرك؟».

اومأ برأسه ايجاباً، وكان مستنداً الى المكتب القريب محدقاً في كأسه قبل ان يشرب.

هكذا تجري الأمور اذن؟ وتنهدت جيردا ونهضت الى جانب النافذة. من الغريب حدوث ذلك بسرعة، خاصة أنها سمعت الكثير عن عناد سوزان

وسلوكها الجري، وخاصة اذا طلب احد منها القاء ترتيبات استعدت من اجلها منذ بعض الوقت.

واضاف جوردان قائلاً:

«اعطها ليون. . . اعتقد اننا سنشعر بحرية اكبر، اذا ما بقينا نحن الثلاثة وحدنا».

هل سيحقق ذلك؟ ونظرت الى قدحها الا انها لم تشرب شيئاً وقالت:

«من هو ليون؟».

«انه يهتم بستيورات، انه يحب ان يرفعه احد، ويضعه في الكرسي، كما يساعده على ارتداء ملابسه، ويساعده على. . .».

«نعم، افهم ذلك، لم يجب على. . .».

وامتلأت عيناها بالدموع وارتجف فمها وهمست:

«آسفة، لا بد ان الامر فظيع بالنسبة اليه».

ودفعت بنفسها في مقعدها مدركة مدى خوفها من اللقاء المرتقب مع ستيورات. ما فائدة ذلك؟ تساءلت بعجز، لا بد انها آخر شخص اراد الشاب المقعد رؤيته. لو انها علمت فقط بخطة جوردان الخبيثة!

«انك بحاجة الى الشراب، اشربي الآن».

واذ قامت بحركة آلية محاولة اطاعة امره، تحرك من مكانه وجلس الى جانبها.

«هل انت خائفة فعلاً من لقاء ستيوارت؟».

سأل بنعومة.

«كلا، لست خائفة من رؤيته. اذا كانت تتضمن كلماتك معنى الخوف من مواجهة شيء مقيت، حين تلفظ بها بتلك الطريقة».

وحاولت تجنب نظراته المحدقة.

«كلا ليس الامر كذلك اطلاقاً».

«ما هو اذن؟».

«هل من الحكمة لقاؤه؟ ماذا سينجز ذلك؟ كيف سيساعد اللقاء ستيورات؟».

وفقدت سيطرتها على نفسها وكادت ان تقترب منه اكثر لتلمسه الا انها امسكت برغبتها.

«جوردان هل انت واثق من صحة ما تفعل؟ ما حدث كان في الماضي، وليس من الصحيح اعادته الآن. انه ليس في الامكان تغيير الماضي».

«كلا، قد لا يكون للقائنا علاقة بما ذكرته. واعتقد انني اخبرتك بأنني سأوضح كل شيء هذا المساء، أو هل نسيت؟».

«لم انس شيئاً».

«اذن لا بد انك توافقين، حان الوقت لوضع نهاية للامر».

«نهاية؟».

«نعم».

وتناول يديها وسحبها لتقف الى جواره.

«يبدو انك غير قادرة على ادراك حقيقة واحدة بسيطة يا جيردا، انك لا تستطيعين نسيان شيء لم يتم بعد».

وبقي ساكناً، ناظراً الى وجهها الحائر ثم لمس خدها بحنان قائلاً:

«تعالي، حان الوقت لاعطائك لرؤية ستيورات».

واذ رافقها جوردان بصمت الى الجانب الآخر من المنزل، شعرت جيردا بالتوتر في جسمها كله وتساءلت عما ستكون لستيورات خلال اللحظات الاولى الصعبة من اللقاء. وفجأة سألت نفسها اذا كان جوردان اخبر ستيورات عن مجيئها، ولن تستغرب سلوك جوردان وحبه الغريب بالدعابة لو انه رتب الامر كله كمفاجأة لاخيه.

وارتجفت لمجرد الفكرة، كلا، ليس في امكان جوردان. . . ولكن ربما لن يتعرف عليها ستيورات، اذ مرت ثلاث سنوات منذ افتراقهما ولقد تغيرت هي كثيراً. لكنه سيتعرف عليها بالتأكيد. . .

حين توقف جوردان ودفع باب الغرفة ليفتحها، تراجعت جيردا بشكل لا ارادي الى الوراء. شعرت بجفاف حلقها، كما لو ان كلمات الترحيب التصقت بلثتها، ثم احست بيد جوردان على كتفها لتدفعها قليلاً الى داخل الغرفة. كانت الغرفة كبيرة، والكرسي المتحرك يواجه النافذة، وتبخرت كلمات الترحيب المهيأة مسبقاً لانه لم تتوقع لقاء كهذا.

استدار ستيوارت بكرسيه وقال بتجهم:

«استغرقتما القدوم وقتاً طويلاً، اين كنتما؟».

وظنت للوهلة الاولى انه يحييها الى ان تقدم جوردان خطوة الى الامام:

«كنت اهتم بصديقتك الغالية. انك تشجعها على اثارة الاضطراب هنا. والآن، اذا لم يكن بمقدورك ان تكون لطيفاً، فكن مهذباً على الأقل».
«الست مهذباً؟ مرحباً يا جيرفا، مضى وقت طويل منذ لقائنا الأخير».
تقدمت الى مكانها وكان رد فعلها آلياً وغير واقعي، قال جوردان:
«اعد لنا شراباً، سأراكما في غرفة الطعام».
وانسحب من الغرفة دون ان ينظر اليها، ووقفت في مكانها ساكنة، لا تعرف ما الذي ستفعله، والتقت عيناها بعيني ستيورات الداكنتين.
وخطت الى الأمام، محاولة الابتسام فقال:
«اوه، كلا، لا تفعلي ذلك انت ايضاً».
واشار بيديه رافضاً وابتسم لتعبير وجهها المصدوم:
«انك تشبهين البقية تماماً. فلو انهم لم يروني منذ وقوع الحادث فسيجبروا النظر الى هذا».
واشار بيده الى الغطاء الحريري الموضوع على ساقيه.
«ولامتنعوا عن التفكير بساقي المشلولتين ولاجبروا انفسهم على الابتسام وسؤالي عن صحتي، انهم يثيرون تقززي».
قالت شاعرة بالحرج:
«انا متأكدة بأنهم لا يعنون ذلك. لن اسألك عن صحتك اذن».
«من الأفضل الا تفعلي ذلك، اذ افضل ان يتجاهلني الناس».
«الن يكون ذلك قاسياً؟».
وارادت ان تتساءل عما اذا كان تجاهله سيساعده على نسيان ساقيه المشلولتين، الا انها لم تجرؤ على قول ذلك.
«هل ترغبين بالشراب؟».
«كلا، شكراً».
ونظرت الى الجهة البعيدة من الغرفة، محاولة تمالك اعصابها ومدركة لصعوبة موقفها:
«يا لها من غرفة جميلة!».
«ليست سيئة. هل هذا كل ما تريدين قوله؟».
عضت على شفتها العليا وقالت:
«لا اعرف ماذا اريد قوله او ما الذي تتوقعه مني. اذ مضى وقت طويل

منذ لقائنا الأخير».
«نعم وقت طويل جداً. الا لو تقتربين قليلاً. اذ لا استطيع انا التقدم باتجاهك».
اقتربت منه ببطء. ونظرت اليه عن قرب رغم طريقته السيئة في معاملة الآخرين. كان لا يزال مزاجياً كالعادة، الا ان المرض لم يغير كثيراً من ملامح وجهه. كان يشبه اخاه الى حد كبير رغم بعض الظلال المحيطة بعينيه. كان كعهده السابق، السحنة الصبيانية غير الناضجة لجوردان، الملامح الناعمة ذاتها، البشرة المخملية والشفة السفلى الكثيرة وكان الشعر هو الاختلاف الوحيد بين الأخوين، فشعر ستيورات اسود مجعد اضفى على ملامحه نعومة خاصة، اضافة الى ان عرض كتفي جوردان جعله يبدو كالطفل الى جانبه.
«هكذا احسن، تستطيعين الاقتراب مني وانت مطمئنة على سلامتك، اذ كما تعلمين ليس بمقدوري الحاق الاذى بك، حتى لو اردت ذلك».
ابتسمت واجابته:
«نحن اكبر عمراً الآن واكثر رزانة من السابق».
اختفى عبوسه ومد احدى يديه نحوها فضمتها بين يديها.
«ربما كنت اكبر عمراً لكنني لست رزيناً وها انا ادرك الآن مقدار افتقادي اليك».
«حقاً؟ فكرت بك كثيراً، وتساءلت عن وضعك، ووصلت احياناً الى حد الكتابة اليك، الا ان الظروف...».
ونظرت عبر النافذة الى الحديقة، لكنها لم تر الزهور ولا الخضرة المحيطة بها.
«ولم لم تكتبي اذن؟».
لم تجبه فشد على يدها بقوة اكبر وتساءل:
«ولم لم تأتِ لزيارتي في المستشفى؟».
«لم اظن انك اردت رؤيتي».
وبدا تعبير ساخر على وجهه ثم قال:
«هل حذرك جوردان من المجيء؟».
«كلا».

وكذبت، الا انها لم ترغب بسلوك طريق لا تحمد عاقبته فتساءلت:
«هل ظننت انه من الأفضل الامتناع عن ذلك؟».
وصمتت مرة اخرى وعلى وجهه سيماء التفكير، الا انه ابتسم اخيراً وقال:
«ربما كنت محقة».
فكرت بجوردان واحست بمرارة الذكرى من جديد. كانت دوافعها خلال تلك الأيام المخيفة تحثها لأداء التكتم، الا انها كانت ابعد ما تكون عن اتخاذ قرار حكيم. والآن اصبح الوقت متأخراً ولم يبق امامها غير الندم.
قال فجأة:
«هل غفرت لي ما ارتكبته؟».
«بالطبع. سامحتك منذ زمن بعيد اذ اكتشفت ان ليس هناك ما يستدعي الغفران حتى. . .».
ومرر يده على وجهها قبل ان يقول:
«انا مسرور لذلك، فقد غفرت انا أيضاً، لك كل شيء».
«هذا يجعلنا متساويين».
وعنت ان تكون كلماتها مرحة، الا ان وقعها كان مختلفاً فقالت:
«انني. . .».
بدأت الكلام ثم توقفت هازة رأسها:
«تتمنين لو ان الأمر لم يحدث؟».
«نعم. . .».
ولم تستطع اخباره انها تمنت ايضاً سماع كلمات الغفران من جوردان ايضاً. تنهدت عارفة ان تحقيق ذلك اكثر صعوبة من لمس القمر واحست بيده متوترة تشد يدها.
«انني مسرور لمجيئك اليوم».
ابتسمت وتجنبت نظراته، فحاولت تغيير موضوع الحديث بالاشارة الى الحديقة:
«من الرائع مغادرة الحديقة حين يكون الجو جميلاً بهذا الشكل. لاحظت ان لا درجات هناك وهكذا تستطيع تمضية معظم وقتك في الخارج

حين يكون الجو صحواً».
«نعم، أليس لديك شيء آخر للمقعد؟».
دهشت، اذ لم تسمع حركة الكرسي ونظرت اليه يقترب منها، وبدا في ملامح وجهه الهادي، ما ارادته بوضوح، فتقدمت منه وعانقته.
بحركة غريزية وضع يده حول عنقها وجذبها اليه بكل قوته القديمة.
ارادت في البداية التظاهر بالاستجابة الا انها علمت ان كليهما سيؤدي الى جرح مشاعره بعمق اكثر من الصدق فانسلت بهدوء بعيداً عنه، وقبل ان يحررها لمس بهدوء خديها.
«لم تتغيري اطلاقاً يا جيرما. تبدين مختلفة، اكثر ثقة بنفسك واكثر جمالاً، الا انك ما زلت في داخلك كالسابق. باردة ومكتفية بذاتك، وخائفة من اطلاق العنان لمشاعرك. هل تعلمين؟».
واسترخى في مقعده فأحست براحة اكبر، واستمر قائلاً:
«كنت اول فتاة امتنعت عن الاستسلام لي».
«ان لك طرقك المقنعة».
«الا انها لم تنجح معك. هل تعلمين لم عرضت عليك الزواج؟».
ونظر اليها نظرة جانبية تذكرها تماماً وابتسم قبل ان يواصل حديثه:
«لأنك كنت البرهان على نجاح الطريقة التقليدية في اجبار الرجل على الزواج».
«هل كان ذلك السبب الوحيد لعرضك الزواج علي؟».
«كلا، ليس تماماً. رغم انني جئت للمجيء الى استخدام اسلوب قديم للابتزاز».
«لم افعل ذلك».
«ألم تفعلي ذلك؟ ظننت ان ما قمت به يدل على معنى واحد: تزوجني او لا شيء آخر. الا انك بقيت الفتاة الوحيدة التي شعرت بأنني مستعد للنظر الى وجهها صباح كل يوم طوال حياتي».
«كان هدفك اذن الزواج بشكل دائم؟».
«نعم، وليبق دوامه ما دمنا احياء».
«غير انني لم افكر بما قمت به باعتباره ابتزازاً على الاطلاق»
قالت مستعيدة قدرتها على الدفاع.

«كلا، الا انك فقتني وراءك كالطفل الوديع».

وضحك ثم لمس زراً جانبياً موضوعاً على جانب المقعد فتحرك بهدوء وصار فجأة الى جانبها، الأمر الذي لم تتوقعه. ثم نظر اليها وقال:

«تعالي سأريك ما استطيع عمله بهذا المقعد».

وقفت وتبعته الى وسط الغرفة.

«ارى انك اسرع مني في الوصول».

«اطارد احياناً سوزان، مدعياً بأنني سأصدمها، وكنت مرة على وشك ذلك».

«لا يثير ذلك دهشتي».

قالت جيردا بجفاف ونظرت الى ارضية الغرفة الناعمة، الصقيلة وتحركت ستيوارت منزلقاً بمقعده بسرعة فائقة يغطي بها احساسه بالعجز. وكما لو انه حدس ما تفكر فيه فقال:

«انه الجانب السادي في ذاتي. نوع من عقدة التفوق، اذ عليّ اقناع نفسي بقدرتي على السيطرة رغم اصابتي بالعجز».

بقيت جيردا صامتة وتبعته حول الغرفة حتى اقترب في النهاية من الباب الموجود في الجانب الآخر من الغرفة. واذا اصبح المقعد على مسافة ثلاث اقدام منه انفتح الباب آلياً ثم انغلق بهدوء وكادت جيردا ان تنحصر بينه، لولا انها استطاعت الابتعاد في اللحظة الأخيرة.

«آسف، كان علي تحذيرك بأنه باب آلي».

ثم استدار ليوضح لها بقية الموجودات في الغرفة، مشيراً بيده الى الأشياء.

«اترين ذلك الفرع الجانبي بجانب الفراش؟ استطيع بواسطته ادارة الراديو والتلفزيون اضافة الى التدفئة والتبريد والاضاءة. استطيع فتح النوافذ، سحب المكتبة الصغيرة واستدعاء ليون او احد الخدم».

«معجزة الكترونية، ما هذا؟».

لمس الزر فانسحبت الستائر تغطي النوافذ واصبحت الغرفة مظلمة، الا ان احد الأزرار بقي لامعاً فقال:

«ثم اختار الضوء الملائم، في الوقت الملائم».

تأملت الشاشة السينمائية، اجهزة التسجيل الضخمة، البار الجانبي

الموضوع بحيث يمكن استخدامه في غرفتين في آن واحد، والاثاث الفخم والجدران المكسوة بخشب صقيل اضفى على المكان ابهة الهيبة. كل شيء يمكن شراؤه، وضع في غرفة ستيوارت... ولكن هل يعوض هذا عن...؟

وراقبها قبل ان يعلق بمرارة:

«سخرية القدر... اليس كذلك؟».

فتجاهلت تعليقه وقالت:

«بذل احدهم جهداً كبيراً لانجاز هذا العمل».

«كل شيء، تحت سيطرتي. تم كل ذلك تحت رعاية واهتمام اخي الكبير».

«هل قام بكل ذلك؟».

واغمضت عينيها اذ انطفأت الانوار وانفتحت النوافذ لتسمح بدخول اشعة الشمس.

«نعم، وجاء معه خبيران ساعداه على اتمام كل شيء، ولم ينسوا شيئاً باستثناء ميكانيين استخدمهما بدلاً من الساقين».

عاد الى الغرفة وتوجه نحو النافذة منتظراً اياها لتلحق به. وبدا في انتظار ان تعلق على شيء ما. فقالت اخيراً ببطء:

«اليس في مستطاعهم عمل شيء؟».

«من اجلي؟».

اومأت برأسها ايجاباً وتساءلت فيما اذا كان سؤالها حكيماً.

«كلا، تم اجراء كل شيء من اجلي، عمليات متواصلة، علاج طبيعي وحتى العلاج بالاعشاب، وكان الجواب واحداً: الاعصاب ميتة ولا فائدة من اصلاح العطب. الى ان حدث شيء في العام الماضي...».

وتوقف ستيوارت ليشعل سيجارة، وسحب نفاثة السجائر حتى قبل ان تستطيع رؤيتها لتجلبها له:

«في العام الماضي، سمع جوردان عن اخصائي الماني له خبرة كبيرة في الموضوع فذهبنا الى المانيا لرؤية الاخصائي».

وحين لاحظت تردده قالت:

«ثم...؟».

بدا على وجه ستيوارت أثر المفاجأة ومرت وهلة قبل ان يجيبها:

«اظن بأنه كان اول من منحني القليل من الأمل. كان مستعداً لاجراء العملية، الا ان نسبة النجاح لم تكن حتى خمسين بالمائة، بل الثلث فقط».

«ولم لم توافق؟».

«هل تظنين انني احمق. خاصة بعد ان وضح الأخصائي بعض المخاطر حين قال قد اسير ثانية ولكن بمساعدة عكازين، اضافة الى انني سأعاني من عدم القدرة على التوازن، انها مجرد احتمالات، قد اصاب بذلك وقد تنجح العملية».

«ولكن اجراء اي عملية يحمل ضمناً بعض الخطر. اتذكر ما حدث حين كانت والدتي مريضة وبدت الدنيا مظلمة في عيني، الا انها في صحة جيدة الآن وهي اسعد مما كانت عليه طوال حياتها».

«بلا شك، لم تبد قائلاً «ولكن حالتي مختلفة. لقد كان على الاختيار، اذ حذرني بانني قد اموت اثناء العملية . . . فهل تقبلين المخاطرة لو كنت مكاني؟».

«لا ادري».

قالت مدركة معنى حيرته المطلقة وكررت:

«لا ادري، اعتقد انني . . . نعم اعتقد ان المحاولة تستحق التجربة».

ونظرت في الجهة مغاير متجنبة النظر اليه.

«كلا شكراً. لم ترد مني والدتي المخاطرة، رغم رغبة جوردان وكان هذا كافياً لاقناعي. اذ يبدو سهلاً عليه الحديث عني باعتباري اخي الميت، الا انه ينسى دائماً بأنه ليس القاتل والمختار لمصيره، وهذا ساعدني على ان اقدر الحياة رغم عجزي».

ثم اضاف ببطء:

«حتى العام الماضي، كانت حياتي جحيماً، وحاولت قدر امكاني تحويل حياة المحيطين بي الى جحيم ايضاً. ولكن بعد الرحلة الى المانيا، وبعد تفكيري ملياً قررت اختيار الحياة، ثم انني قادر من مكاني هذا على تحريك بعض الأحداث والأشخاص. وها انا استميلك من جديد».

«انك تشبه محرك الدمى على المسرح».

«هل هذا صحيح؟ أقل ذلك، رغم علمي جيداً بأن المحرك الأصلي هو،

يا عزيزتي جيردا، الأخ الكبير جوردان».

وصمتت حين ادركت استعداده للاحساس بالمرارة كلما تحدث عن اخيه جوردان. وتذكرت ما احست به حين التقت بهما لأول مرة ولاحظت وجود بعض سوء التفاهم بينهما، اذ فكرت بأنه احساس طبيعي بين الأخوة خاصة اذا كان الأخ الكبير قاسياً ومتشدداً بينما الأخ الصغير مدلل وغير ملتزم بأي نظام حياتي. لكنها . . .

وأحست بالارتياح حين فتح الباب ودخل جوردان، الا ان ستيوارت لم يشاركها احساسها بل استدار لينظر الى جوردان بقامته الفارعة، مرتدياً بذلة سوداء انيقة وقال بتهجم:

«ماذا تريد؟ كنا على ما يرام، ولسنا بحاجة الى اشرافك».

«حان وقت العشاء. الا يهمك الأمر؟».

ولم يبد اي تأثر لخشونة ستيوارت وربما توصل بمرور الوقت الى حماية نفسه باللجوء الى الصبر من نزوات الأخ المقعد. مهما تكن الأسباب ابدى جوردان هدوءاً وصبراً، وتعجبت لذلك خاصة بعد تذكرها سلوكه معها، وبقيت مهمومة تفكر بذلك، رغم سيرها الى جوارهما، متوجهين الى غرفة الطعام.

وكان الجو هادئاً، مشحوناً بعواطف حاول الجميع اخفاءها، عدا ذلك كانت وجبة الطعام جيدة، فقدمت مديرة المنزل حساء الخضار اللذيذ، وتركت لهم على الطاولة انواعاً مختلفة من السلطة واللحم المشوي.

كان سلوك جوردان مهذباً طوال العشاء، ويبدو لو هذا ما يبدو لجيردا على الأقل، رغم ذلك احست بالاضطراب اكثر مما لو كان سلوكه عدائياً. اما ستيوارت فلم يهتم بمتابعة الحديث معها، واثبت ذلك عدم تغيره كثيراً عن السابق اذ بقي مزاجياً، لا يستطيع اخفاء مشاعره اذا ما أثاره شيء ما او ازعجه احد الحاضرين مهما كان السبب ضئيلاً. واحست ببعض الراحة حين رمى ستيوارت منشفة الطعام على صينية الطعام المجاورة وقال مخاطباً جوردان:

«كان عليك اعلامي بالأمر في وقت ابكر».

«اعلامك بماذا؟».

«بترتيبك لعطلة نهاية الأسبوع ومجيء جيردا».

«اخبرتك بالأمر الليلة الماضية. أليس هذا مبكراً ما فيه الكفاية؟».
وحافظ جوردان على هدوئه متناولاً جيردا بعض الحلوى، وحاولاً في الوقت نفسه تناول كمية الكبر.
«عليك تناولها مع القشطة الطازجة، هل تريد بعض الحلوى يا ستيوارت؟».
«كلا، شكراً. انك ذو اعصاب هادئة حقاً، اذ لم ترني وجهك طوال الستة أسابيع الأخيرة، وحتى لم تتصل هاتفياً. وها انت تأتي فجأة مع جيردا. لم لم تخبرني؟».
«وانا نفسي لم اعرف ذلك».
فكرت جيردا بانها، هي أيضاً، لم تعلم عن مجيئها الا عند الظهيرة واحست بالغضب يتملكها، لا بد انه قرر الليلة الماضية، وكان واثقاً تماماً من قبولها المجيء، ربما لادراكه بانه كان يحمل في يده سوط التهديد. وواصل ستيوارت المجادلة:
«وما كان ليخطر ببالك ان سوزان احدثت ترتيباً آخر لقضاء عطلة نهاية الأسبوع».
«ولم يخطر ببالي ذلك. لذلك لا تتعب نفسك بتغيير أي شيء. انا انا سأشاركك في ما سيجري. اما اذا احسست بالضيق فسأذهب مع جيردا الى المدينة غداً صباحاً وسأناقش اعمالنا هناك».
«اعمالا؟ اي اعمال؟».
وبدا ستيوارت مصعوقاً:
«عقد جديد، انا لعمل جيردا مع جينغرفولتز الاثنين».
نظر ستيوارت الى كليهما نظرات اتهام وقال:
«لم تخبرني بذلك. وكل ما فكرت به انك التقيت بها صدفة ثم طلبت منها المجيء استعادة لذكرى الأيام الماضية».
«فكرتك خاطئة اذن».
«ويبدو بانني المخطئ، دائماً، هل استشرت...».
«رجاء توقف عن المجادلة، بحق السماء، ليس في نيتي افساد عطلتك، ولو انني علمت...».
وضع جوردان يده على ركبتها القريبة منه والمغطاة بشرشف الطاولة:

«دعيني احسم الأمر بنفسي، اذ انك لم تخبريني شيئاً و...».
«عزيزتي لم آتيك بما لك اطلاقاً».
قاطع ستيوارت جوردان الذي قال:
«انني لو انك اخبرتنا بما تريده، وستحل الاشكال، هل تريد منا مغادرة المكان وتركك لتستمتع بنفسك؟».
وشد جوردان على ركبة جيردا بقوة ثم تركها.
«لو انك جلبتها لمناقشة العقد فقط فلا يهمني بقاؤكما. اذ سيصل الضيوف غداً صباحاً وسنتوجه الى ضفة النهر، لنشرب ونتناول الغداء.
«ستشاركنكم الحفلة اذن».
فقاطعه ستيوارت قائلاً:
«وحقيبة اعمالك بيدك؟».
اختار جوردان تجاهل الملاحظة الأخيرة، الا ان جيردا لم تستطع ايقاف نفسها عن التفكير بيوم الغد، وانتابها احساس غريب بالشفقة على جوردان. من الواضح انه قام بكل شيء، انسان من اجل اخيه ليثبت احساسه بالعجز... لكنه من الواضح ايضاً ان ستيوارت يحاول استغلال ذلك الى اقصى حد ممكن، وخلال اليوم التالي بدا واضحاً ان ستيوارت لا يستغل أخاه فحسب، بل يستغل مشاعر وعطف المحيطين به كلهم. ولم تجد جيردا كلمة تصف بها سلوك ستيوارت يوم الأحد وبعد قدوم المدعوين، غير كلمة «الحاكم» كان صوته أعلى من اصوات البقية وشخصيته هي المسيطرة، وله وحده كان حق مقاطعة الآخرين او اثارة موضوع جديد للنقاش، واذا ما انتاب ستيوارت الضجر سارع الحاضرون الى ركوب سياراتهم متوجهين الى مكان آخر وحين قرر ستيوارت فجأة ان من الأفضل لعب الورق، عاد الكل معه الى البيت ولعبوا الورق.
لم تستطع جيردا لعب الورق خاصة انها لم تمارس اللعبة طوال حياتها، وبدا ما تعرفه عن اللعبة نكتة طريفة الى جانب الحضور الملتف حول ستيوارت.
اقترحت سوزان مخاطبة جيردا:
«اجلسي جانباً وراقبي كيفية اللعب لبعض الوقت».
ثم جلست الى جانب ستيوارت تهتم بتلبية طلباته وتزويده بما يحتاجه

من سجائر، منفضة سجائر، قداحة، ثم سألته:

«هل ترغب بسماع شريط التسجيل الجديد؟».

«يا لها من فكرة جيدة. ودعي جيردا تجلس الى جانبي اذ سأشاركها اللعب الى ان تتعلم بعض القواعد الأساسية. هل يهتم ليون بالحاضرين؟».

وأدى ليون واجبه كاملاً، اذ كان يدور بين الحاضرين يوزع عليهم الشراب والسجائر ملبياً طلباتهم بسرعة واتقان.

كان ليون اصغر من جيردا عمراً، خلافاً لما توقعته، عادماً الشعر الشعر ونحيفاً بشكل لا يوازي قوته، حين لاحظته وهو يرفع ستيوارت من مقعده الى السيارة بكل سهولة، ويباشر ليون عمله مع ستيورات منذ عامين كمساعد ومعالج طبيعي، ويبدو انهما تحولا الى صديقين بمرور الوقت. الا ان ما حير جيردا اكثر من اي شيء آخر هو وجود سوزان، اذ كان موقفها غريباً حيال الأخرين. بدت ملتصقة بستيوارت، تعرض عليه خدماتها في كل لحظة ولا تفارقه اطلاقاً، اما مع جوردان فيبدو بأنها، وبمرور الوقت، توصلت الى تناسي جدالهما الحاد واختلافهما في اليوم السابق واستطاعت، ذات مرة، الانفراد به لتسأله نصيحته او رأيه او ربما مناصرته اياها في قضية ما. وحكمت جيردا استناداً الى تعابير وجهها، بفشلها في اثارة اهتمامه واقناعه بما ارادت ثم لجأ جوردان للتخلص منها الى اسلوبه اللامبالي، واللاهي لحضور الشخص الآخر. وجلست سوزان الى القهوة بعد ذلك، جالسة الى جوار ستيورات، المطرح تحت الشمس للراحة الا ان سوزان استعادت هدوءها وطبيعتها الاجتماعية بعد قليل. وعادت الى لاعبي الورق لتشاركهم اللعبة دون ان تحمل حقداً على جوردان.

وكان جوردان وستيورات آخر اللاعبين اذ كان ستيورات يلعب لصالح جيردا، ونهضت سوزان من مكانها متوجهة نحو جوردان ووقفت خلفه متطلعة في الوقت نفسه الى ورقة لعبه. وبدا على وجهها الفرح واقتربت بوجهها منه حتى لمست اذنه بشفتيها وهمست شيئاً ما. الا ان جوردان لم يتأثر اطلاقاً بحركاتها وبقي في وضعه ذاته وكأنه لم يحس بوجودها اطلاقاً، فقال ستيورات لجيردا معقباً:

«خلال لحظة واحدة سيستدير ويكسر عنقها. يا لها من فتاة حمقاء

سخيفة خاصة أنها تحاول التشاركيا بقيمة اوراقه».

نظر الى وجه اخيه وعبس قائلاً:

«اكشف عن ورقتك».

ثم وضع اوراقه على الطاولة، قائلاً لسوزان:

«شكراً يا عزيزتي لولاك ما فزت».

الا ان سوزان خاطبت جوردان قائلة:

«ولكننا الفائزان اليس كذلك؟ الم اجلب لك الحظ السعيد؟».

«حقاً؟ من الأفضل ترك المكان لك. في استطاعتك الجلوس علي». ووضع يديه على كتفيها بشكل لم تستطع معه الا اطاعة امره واضاف:

«لا اعتقد ان وجود جيردا ضروري، اذ انها ليست لاعبة ماهرة».

ثم وضع يديه على كتفيها، فقال ستيوارت:

«هل ستنصرفان؟».

فأجابه جوردان:

«نعم».

ولم يتطرق اليه الشك لحظة في مدى موافقة جيردا على قراره بالمغادرة واقفاً بانتظارها حتى نهضت وتمنت للحاضرين ليلة سعيدة.

نظرت جيردا الى جوردان دون ان تنطق بشيء، واحست بازدرائها لنفسها اذ وافقته على طلبه بسهولة.

«فكرت بأني سأنقذك من الجلسة بعد ان لاحظت عدم تمتعك».

«هل لاحظت؟».

«كلا».

اعترفت فوراً.

«حسناً جداً، اذ انني اكره رؤية النساء يلعبن الورق».

الا انها اعترضت قائلة:

«ولكنها كانت لعبة ودية».

وتبعته الى مكتبه.

«كلا، لم تكن كذلك، اذ سيواصل الحاضرون اللعب حتى الصباح خاسرين اثناء ذلك مئات الجنيهات. هل كنت مستعدة للخسارة؟».

«وكأنك انقذتني من جحيم مقامرة تجري في بيتك».

«لم اقلقك من شيء يا عزيزتي. كل ما في الأمر انني رغبت في الحديث معك».

وعاودها الاحساس بالخوف مرة اخرى. وراقبته وهو يصب لها قدح العصير المثلج، ولم تستطع منع نفسها من الارتجاف بعد ان وضع القدح بين يديها، ونظرت الى وجهه متسائلة:

«المقلق؟».

«ليس بعد».

وفتح علبة سجائره المعدة له خصيصاً في مورلاندز، وعرض عليها واحدة. حين هزت رأسها رافضة، اغلق العلبة دون ان يتناول ايا منها. ونظر الى كأسه مفكراً قبل ان يتأملها بحدة:

«ما هو رأيك في مجموعة ستيوارت؟».

وصمتت لوهلة دون ان تجرؤ على الاجابة على السؤال غير المتوقع.

«انهم، انهم... لا بأس بهم... صحبة ممتعة اذا كنت ترغب بالمتعة».

«الم يثيروا اعصابك؟».

«لم اقل ذلك. لم تسألني؟ انا لا داعي لابداء رأيي في اصدقاء ستيوارت».

تلفظت بذلك بعد ان احست بأن السؤال لم يكن عرضياً، ولا مجرد فاتحة للحديث.

«اردت معرفة رأيك».

«ولكن لماذا رأيي انا؟».

تجاهل جوردان سؤالها، ووضع كأسه على الطاولة، مما احدث ضجة هزت هدوء الغرفة.

«ما رأيك بسوزان؟».

وانتابتها الدهشة مضاعفة هذه المرة، ولكن مع احساس غريب بالتحذير.

«وما الذي تريد التوصل اليه يا جوردان؟ يبدو كأنك تريد الحصول على رأي يثبت صحة بعض الشكوك».

«انني لا اوجه الاسئلة لغرض المتعة، لكنني، بالتأكيد، لست بحاجة

الى ما يثبت صحة رأيي».

والذي اقلقها شيء بدا واضحاً في عينيه. وخطرت في ذهنها فكرة مفاجئة كادت ان تدفعها الى التقيؤ. ترى ما الذي اكتشفه؟ هل اخبره ستيوارت؟ ولكن ذلك مستحيل: وماذا عن ستيوارت؟

«كان علي طرح السؤال بصيغة اخرى لاعرف انطباعك عن علاقة ستيوارت بسوزان».

«يبدو انها مولعة به. ولكن كيف استطيع الحكم خلال يوم واحد؟».

وارتعدت مثل سائر يحاول تلمس طريقه في الظلمة.

«ثم ماذا هناك للحكم؟ ستيوارت شاب وبحاجة الى صحبة شابة مثلها، اذ لا بد انه يعاني من الوحدة المخيفة».

«نعم، لكنه ليس بحاجة الى سوزان».

«انك لا تريدها، اليس كذلك؟».

«ان تأثيرها سيء عليه. واسوأ بكثير من تأثير امي عليه».

وصدمت جيرما للهجته فقالت:

«انك لا تعني ما تقول: انا لا وجود لاي تأثير سيء على ستيوارت».

«ماذا؟ انظري الى ما يحدث كل نهاية عطلة اسبوع حين يكتظ المنزل بهؤلاء الشباب المجانين، ومعظم الاسبوع احياناً. انهم يشربون ويقامرون وسوزان اول من يشجعهم».

«الا انه بحاجة الى الصحبة، ثم انه كان دائماً...».

«نعم، واصلي حديثك وقولي ما خطر ببالك. كان متهوراً دائماً. الا انه كان قادراً على استخدام سائقه في تلك الايام. ولم يكن يعاني من نوبات الكآبة المؤدية الى الانتحار كلما ترك وحده. اتعلمين بأنه حاول الانتحار مرتين؟ هل تعتقدين ان هذا تأثيراً جيداً عليه؟».

«كلا».

استنكرت جيرما بقوة ثم وضعت كأسها جانباً بعد ان لاحظت ارتجاف يديها.

«ولكن هل انت واثق من صحة اتهامك لسوزان؟ خاصة انك تتهمني بخذلان اخيك؟».

«اظن بأنك تعرفين رأيي جيداً بصدد هذا الموضوع ولا اود مناقشته من

جديدة.

لمحت النظرة القاسية في عينيه واقشعر جسمها خوفاً من عاقبة انتقامه. كلا، ليست مخاوفها وهمية، اذ تجسد خوفها حقيقة واقعة في وجهه الغاضب.

وقف الى جانب المنضدة ثم استند بيد واحدة على رف الكتب واظهرت حركته البسيطة مقدار قوته اكثر من اي استعراض متعمد للقوى.

«ستتزوج سوزان ستيوارت غداً اذا ما رغب هو بذلك ولن يمنعها كثيراً حقيقة كونه مقعداً».

واحست جيردا بالضعف يسري في جسمها فجأة، وبدت لها فكرة زواج ستيوارت من اي فتاة، غريبة، الا انها فكرت ثانية ولم تجد سبباً يدعوها للاستغراب، اذ سمعت الكثير عن حالات زواج تمت بين المقعدين، زواج تم على اساس التفهم المتبادل والحب المشترك، وامتلاك القوة للانتصار على المعاناة، الا ان سوزان... هزت جيردا رأسها بلا تعمد. انها تعرف القليل عن سوزان، الا ان هذا القليل فيه الكفاية ليقنعها ان سوزان لا تملك الصبر والثبات للاستمرار بزواج موضوعة امامه العقبات مسبقاً. انها شابة، وطائشة، مندفعة وتتشبه بذلك ستيوارت الى حد كبير. نظرت بخوف الى وجه جوردان وتساءلت:

«هل ستتدخل بينهما؟ حتى ولو كانا يحبان بعضهما؟».

«اتدخل؟ بالتأكيد سأتدخل وسأمنع الزواج حتى ولو كان آخر شيء سأفعله في حياتي. انه اسوأ ما يمكن ان يحدث لستيوارت».

«ولكن هل انت متأكد بأنه سيحدث؟».

«نعم، رغم ان ستيوارت اتخذ موقفاً صحيحاً حتى الآن برفضه الزواج، الا انه سيستسلم في النهاية، وسيندم فيما بعد كما ستندم هي كذلك».

«وكيف تستطيع التنبؤ بفشل زواجهما مسبقاً؟».

«كفى هراء، انها مجرد طفلة. طفلة مدللة ... استحوذ عليها بحكم السيطرة عليه وجعله معتمداً عليها في كل شيء. استخدمي مخيلتك، هذا اذا كنت تمتلكين اي مخيلة».

قال باحتقار مقاطعاً نفسه ثم واصل الحديث:

«على ستيوارت مواجهة الواقع، ولن يستطيع ذلك ما دامت هناك فتاة

مجنونة تقنعه بأن في مستطاعها الانعزال عن العالم والعيش في ارض المستحيل. الا بناء على رأي سوزان نحن جميعاً مقعدون روحياً وما الجسد الا غلاف لا اهمية له. انها مجنونة. ويجب ان اوقفها عند حدها».

«الست متدخلاً بلا مبرر؟ كيف تستطيع التحكم بحياتهما؟ كيف تستطيع رؤية العالم والتحكم عليه بدلاً من ستيوارت؟ انه في حاجة الى وجود شخص يساعده على الثبات. انه عالم مخيف بالنسبة اليه. كيف تصل الى هذا الحد بأن سوزان ليست قادرة على اسعاده؟ ليس في مستطاعك ابعادها عنه... ومن القسوة...».

«انك تبدين اهتماماً فائقاً بوضعه، فجأة. وانا مسرور لذلك، اذ سيجعل هذا الأمور اسهل».

«اسهل؟ ماذا تعني؟».

ابتسم واستقام في مكانه ثم سار ليقف الى جوارها، متفحصاً وجهها عن قرب قبل ان يقول:

«ان عطلة نهاية الاسبوع هذه نوع من تجربة اردت اجراءها. واعتقد بأن التجربة ناجحة».

توقف، مراقباً اياها وكأنه رأى انت بشربها عرضها السهل لقوته. وواصل حديثه متعمداً:

«اردت ان ارى اذا كان ستيوارت لا يزال مهتماً بك، راقبته طوال اليوم عن قرب واعتقد بأنك ما زلت مفضلة لديه. قد يكون اهتمامه مجرد اعتزاز بالشيء احبه او بوجه جديد الا انني لا اعتقد ذلك صحيحاً. ان اخي كان مولعاً بك منذ سنوات وضحى بحياته بسبب ذلك ولا اعتقد انه نسيك... هل نسيت انت؟».

مدت يديها باستسلام، عاجزة عن الصراع والتنكر لما قاله خوفاً من الحقيقة. تذكرت ستيوارت ومحاولته عناقها في اليوم السابق وكيف فشلت في تحمله. واحست بالمصيدة تلتف حولها ولم تجد طريقة للهرب....

«وهكذا يا عزيزتي جيردا، عليك الآن التكفير عن خطاياك».

«التكفير؟ عن ماذا؟».

«ستحلين محل سوزان. قلت قبل قليل ان ستيوارت بحاجة الى صحبة فتاة، فلم لا تكونين انت الفتاة؟».

فصرخت فجأة:
«لكنني، لكنني لا أستطيع . . . . كيف أستطيع ذلك؟».
«انك حرة الآن وتملين الحل الأفضل».
«كلا . . . ».
ورفعت يدها لتحاول امساكه مدركة بأنه لن يحس بالرحمة تجاهها.
«نعم، واذا صح ما سمعته بأنك تزوجت من بليز شفقة به . . . فلم لا تتزوجين مني؟».
«هل تعني . . . تعني بأن علي الزواج من ستيوارت؟».
«هذا بالضبط ما اعنيه».
ومدت يدها الى عنقها اذ احست بالاختناق:
«لكنني لا احبه . . . انه ليس . . . ».
«حب؟».
وبدا الاحتقار واضحاً في عينيه:
«ما اهمية الحب في مسألة كهذه؟».
انكمشت في مكانها وقالت بصوت عال:
«انك مجنون».
«كلا يا عزيزتي جيرما. قد اكون حاملاً للعديد من الصفات السيئة، الا ان الجنون ليس واحداً منها».
راقبها للحظة واحدة ثم قال:
«لمَ لا تعترفين بالأمر؟ انك تزوجت بليز ماستيرتون لسببين: اولا لاحساسك بالشفقة وثانياً لأنه ساعدك على الخلاص من تعاستك بعد انتهاء علاقتك بستيوارت».
«كلا، كلا ليس هذا صحيحاً».
«او على الأقل اليس منافياً لصحة ما حدث».
وفجأة انتابها احساس بوجوب مغادرة مكانها، ودون ان تشعر بنفسها اندفعت عبر الغرفة الى النافذة. كانت السماء ذات لون فضي غامق يشير الى ليلة صيف صاحية ولاحظت وجود بعوضة تحاول الانطلاق بعيداً عن الغرفة وبدت كأنها ترمز الى وجودها ويأسها في مكان لا ترغب البقاء فيه.
قالت بصوت خفيض:

«كيف تستطيع اقتراح ما قلته بأعصاب باردة؟ وذلك خوفك من الام زواج لا توافق عليه».
«ان استخدامك تهمة القسوة امر غريب من قبلك، وكلمة (الحب) تبدو فارغة اذا استخدمتها. اخبريني ما هو معنى الحب الذي تتلفظين به وتقدرينه الى هذا الحد؟».
«لن تصغي الي اذا ما اخبرتك. واذا اصغيت فلن تفهم بالتأكيد».
«كم هو صحيح ما تقولينه».
وخطا بعدها ليقف وراءها فارتجفت لاحساسها بوجوده قريباً الى ذلك الحد:
«انت تشبهين غالبية بنات جنسك الرافضات مواجهة الواقع وخاصة مواجهة ما يسمى «الحب». انك تتحدثين عن الثقة والفهم والمشاركة بينها لعنتين، طوال الوقت، حب الذات. تنشد النساء الحب ثم يبكين اذا ما خذلهن الاذى بسببه. لأن ما يرغبن فيه فعلاً هو الاستحواذ على الرجل بينما يخدعن انفسهن بوهم العطاء».
«انك لا انساني».
«كلا، كلا ما اقوم به هو مواجهة الحقائق ولا ادع العاطفة تعميني عن حقيقة الناس».
وامسك بكتفيها ثم لمس شعرها بهدوء:
«هذا هو الوهم الكبير الخادع للنساء أيتها الدمية الصغيرة. اين يتخيلن العيون المسدلة والوعود الكاذبة بالوفاء الابدي. ثم لا يعترفن؟ لم لا يعترفن بأن ما يرغبن فيه هو التملك؟».
وشد من قبضته على كتفيها ثم همس في اذنها:
«هذا هو ملخص الحكاية، الرغبة والأخذ ولكن في الوقت نفسه، التظاهر بأنه عطاء».
نجحت في التحرر من سيطرته وقالت:
«اني احتقرك. انك قاس، انك . . . ».
«عليك اذن الشعور بالامتنان لانك لن تتزوجيني».
«لن اتزوجك ابداً. كما لن تنجح في اجباري على الزواج من اي شخص آخر».

«كلا، لن استطيع اجبارك».

وطمها شيء ما في صوته للاستدارة ومواجهته:

«كلا، انه مناف للعقل».

«الذي سيان جيدان لقبولك ما اريده».

«سيان؟ لا اعرف ما الذي تتحدث عنه. اوه كلا».

وطغى عليها الخوف الى حد انها شكت بسلامة عقلها.

«اتعني، انني اذا ما قبلت الخضوع لمخططك، اذا ما وافقت على تنفيذ فكرتك. . . الفكرة المستحيلة. . . اذا ما وافقتك فستوقع العقد؟».

«شيء من هذا القبيل، هذا اذا ما وافق ستيوارت بالطبع».

«انك وحش وتحاول ابتزازي».

«انه ابتزاز اخلاقي يا عزيزتي جيردا. محاولة لانقاذ شخص عزيز كما اعتقد».

«انها محاولة لا اخلاقية».

هز كتفيه دون ان يبدو عليه التأثر لاتهامها:

«اعتقد بانك مدينة لستيوارت».

هزت رأسها محاولة طرد الكابوس المحيط بحياتها. ومن خلال الضباب نظرت الى وجهه القاسي وقالت:

«اعتقد بانك تعني ما تقول فعلاً».

«انني لا اقول عادة اشياء لا اعنيها. واعتقد انك تعرفينني جيداً من هذه الناحية».

«لا اعتقد بانني سأكون قادرة على فهمك او معرفة سبب كراهيتك. انك لا تفعل هذا من اجل ستيوارت. كل ما تحاوله هو ارضاء جرح قريب في داخلك، ولكن لماذا؟».

«لا تكوني عاطفية. الخيار متروك لك. فكري بالأمر. ولكن تذكري بانني قد اكون قادراً على الانتظار ولكنني لا اظن جيتمرفولكز قادرة على ذلك».

ووقف وأشعرها طوله بالخوف من قوته. وحدقت في وجهه بصمت وحاولت التحرك من مكانها. وبدا لها ان المسافة بينها وبين الباب طويلة، ولم تلحظ اقترابه منها ومساعدته اياها على السير والخروج من الباب. ولكن

اجتازته بقيت كلماته الأخيرة ترن في رأسها مرات ومرات. وتذكرت شيئاً غفلت عنه في البداية فتوقفت في مكانها وقالت:

«قلت بان لديك سببين. ما هو السبب الآخر؟».

ابتسم وتراجع بخطة الى الوراء قائلاً:

«ذلك شيء سأبقاه الى استخدامه فيما بعد».

٤ـ حافة الهاوية

حين عادت جيردا الى الشقة بعد الساعة العاشرة من صبيحة يوم الاثنين، كان هواء الشقة خانقاً. فوضعت حقيبتها جانباً ووقفت في منتصف الغرفة متسائلة عن خطوتها التالية. عليها اولا الاتصال بالسيدة ساندرز او المستشفى لتعرف آخر الاخبار عن هوارد، ثم عليها بعد ذلك التوجه الى المكتب مباشرة.

آه، ما الذي عليها عمله؟

وتحول كل شيء، في صمت الشقة الى حقيقة مخيفة.

وردت في ذهنها من جديد اقتراحات جوردان، رغم نجاحها في الهرب منها طوال رحلة العودة. كلا، لم يكن جدياً اذ ليس في استطاعتها الارتباط بستيوارت، لانه زواج محكوم عليه بالفشل مسبقاً.

ومن الغريب ان جوردان لم يشر اطلاقاً الى الموضوع طول طريق العودة. بل انه، في الحقيقة لم يتحدث معها الا بما هو ضروري. كما حاول قدر امكانه تجنب اثارة ما حدث بينهما في الليلة الماضية. وبدا وكأنه الغى الفكرة، الا انها كانت تعرف جيداً بانه كان في انتظار جوابها، اذ اتم خطوته الاولى وهو على استعداد لاتخاذ الخطوة التالية...

وحين وصلا البناية، لم يتحرك من مقعده في السيارة منتظراً لحاجته الى الانصراف بسرعة اذ عليه الوفاء بموعد في المدينة. واكتفى بمناولتها حقيبتها وابتسم في وجهها ابتسامة عبرت عن كل ما اراد قوله ثم قال بصوت مرتفع:

«ارجو ان نلتقي قريباً».

ماذا عليها فعله؟

وتمنت لو ان هوارد استعاد صحته باعجوبة وعاد الى تحمل مسؤولياته في الشركة والاهتمام بالعقد، الا ان امنيتها تلاشت عند نهاية يوم الاثنين نفسه.

كانت صحة هوارد كالسابق تدعو الى القلق. ولم ينصح احد بالسماح له بمغادرة المستشفى فوراً، كما حذرها الطبيب بانه سيكون في حاجة الى فترة نقاهة طويلة بعد ان يسمح له بمغادرة فراش المرض.

«لا اظن بانه سيكون قادراً على العودة الى المكتب قبل مرور شهرين».

قال ميرك متناولا كأس شايه ظهيرة يوم الاثنين واضاف:

«اتمنى لو كان معنا اليوم».

والتقط ميكروفون جهاز التسجيل الصغير وحاول املاء شيء، ثم غير رأيه، ووضعه جانباً، مخاطباً جيردا:

«ان مشكلة هوارد الاساسية هي انه احتفظ بالكثير من المعلومات في رأسه».

تنهدت جيردا قبل ان تقول:

«اعتاد القول بانه لم يكن بحاجة لاي شيء مكتوب باستثناء الارقام والتواقيع، وان مصافحة اليد افضل من اي شيء آخر».

«انه لمن الرائع التظاهر بالكمال ولكن كيف نستطيع معرفة ما كان يدور في ذهنه؟ ها هي اوراق منتصف العام الحالي وتقارير السوق التالية ناقصة... ما الذي اراد عمله بصددها؟ ان الامر سيختلف اذا حصلنا على فان لورنه».

بقيت جيردا صامتة، فاسترخى ميرك في مقعده ونطق:

«بالتأكيد تنتهي متاعبنا عند توقيع العقد. لكنني سأكون متأكداً تماماً اذا ما رأيت هوارد يدخل المكتب الآن».

الن يكونوا فائزين جميعاً؟ تساءلت جيردا بتعاسة. وتبادر الى ذهنها شيء قاله والدها منذ فترة طويلة. كان من الخطر لأي شركة منح رجل واحد كافة الصلاحيات. وكان ذلك اساس المتاعب في جيرنغفولدز حيث كان هوارد هو جيرنغفولدز، كان رمز الثقة وكان مشهوراً باتخاذه الموقف الصحيح في الوقت الملائم ولولا مرضه واندماج فان لورنه بوينتفورين،

يجري كل شيء على ما يرام.

وتذكرت كيف نظر اليها، تلك الامسية، حين زارته بقلق لِ آلمها وجعلها تنسى ما اعدته من تبريرات لرفض المضي في الاهتمام بالعقد. لم تستطع اخباره انها امضت نهاية الاسبوع في منزل جوردان وانها ناقشت العقد معه، كما لم تستطع حتى اخباره انها التقت بجوردان.

قبلته وهزت رأسها بأسف:

«آسفة، املت ان ابلغك بعض الاخبار اليوم، ولكن لا شيء جديداً».

وبذل هوارد جهداً كبيراً ليخفي خيبة امله التي بدت جلية وقال:

«لا داعي للقلق يا عزيزتي، اعلم بانك تحاولين جهدك واعتقد بانك رائعة، لذلك حاولي الا تيأسي».

وابتسم مضيفاً:

«لانني لا اشعر باليأس».

لكنها كانت تعلم، رغم تظاهره بارتفاع المعنويات، مدى خيبته واحست بثقل في قلبها خاصة بعد ان تركته عائدة الى شقتها ووحدتها.

واذ دخلت فراشها، متعبة الى حد لا يصدق ولكن مدركة في الوقت نفسه صعوبة الاخلاد الى النوم، احست بأنها على حافة هاوية.

لماذا يجب ان تكون حياة ومصائر العديد من الناس تحت رحمة جوردان بلاك؟ لماذا اختار رمي حجر كبير في بحيرة حياتهم ووقف جانباً ليراقب ما سيحدث من اضطراب على سطح الماء، اضطراب في حياتها وحياة هوارد وحياة كل العاملين في الشركة؟ ولماذا اختارها هي بالذات لتكون مركز الثقل؟

حدقت في الظلمة ولم تجد جواباً غير كآبة قلبها. لو كانت هناك فائدة في تكرارها لنفسها مدى كراهيتها لجوردان بلاك! الكراهية، كراهيته لها... وكراهيتها له... الكراهية تحيط بها في ظلمة الليل. ودفنت وجهها في الوسادة ثم تصلبت فجأة اذ سمعت رنين الهاتف في الصالة.

وتسارعت دقات قلبها، من؟ في منتصف الليل؟ جوردان؟

قامت مسرعة، اشعلت المصباح متحاشية التفكير، ولكن ربما كان هوارد...؟ اوه، كلا، كلا...

توجهت الى الهاتف بعد ان لفت نفسها بغطاء السرير، وخشيت توقف الهاتف عن الرنين قبل الوصول اليه.

«آلو، جيردا؟ هل ايقظتك؟».

واحست بارتياح كبير حالما تعرفت على صوت ستيوارت، واحست بضعف كاد ان يدفعها الى الاغماء فجلست على الكرسي المجاور للهاتف.

واذ لم تستطع الاجابة، هتف ستيوارت قائلاً:

«هل انت هناك جيردا؟ هل انت بخير؟».

«نعم، لحظة واحدة رجاءً».

ولفلفت نفسها بالغطاء جيداً.

«لم اتوقع اتصالك بي، واذ سمعت الرنين ظننت انها قد تكون اخباراً سيئة عن هوارد دوبل، اذ انه مريض جداً».

«آسف، لا بد انني ايقظتك من نومك».

وتنهد بصوت مسموع:

«لم استطع النوم وكنت افكر بك، لذلك قررت الاتصال». واحست بالاسترخاء، حتى انها احست بالمتعة بعد الم المفاجأة، فقالت: «في الحقيقة لم اكن نائمة انا ايضاً».

«هل انت متعبة؟».

«كلا».

«غالباً ما اتصل بسوزان ليلاً لنتحدث ساعات طويلة. اذ من الرائع الاتصال هاتفياً حين يكون الآخرون نائمين ولا احد يقاطعك لكنني اردت التحدث اليك الليلة».

وتوقف بانتظار تعليقها، الا ان صمتها دفعه لمواصلة الحديث:

«كان غريباً لقاؤك من جديد. ولم يتم اللقاء كما توقعته».

«وما الذي توقعته؟».

«لا ادري، هل تمتعت بعطلة نهاية الاسبوع؟».

«نعم».

قالت كاذبة.

«هل تريدين المجيء مرة اخرى؟».

«نعم، اذا اردت ذلك». ثم اضافت بعد تردد «انا...».

«واذا كان جوردان هنا؟».
قاطعها بحدة ثم باقتراح بديل:
«او اذا لم يكن جوردان هنا؟».
«الا يقضي عطلة نهاية الاسبوع دائماً في المنزل؟».
«جوردان؟ كلا، انه يكره رؤية صحيفتي، جيرد؟».
«نعم».
«متى عدت الى مدار جوردان؟».
ولكن نبرته على شك عميق.
«لا استطيع القول باني عدت. انا التقيت به لأول مرة. في الاسبوع الماضي، الم يخبرك بنفسه؟».
«اخبرني، ليلة الجمعة، بانه كان يتعشى مع حبيبتي السابقة».
الحبيبة السابقة! هل هي كلمات جوردان ام ستيوارت؟
«التقينا مرة واحدة وكان الغرض مناقشة بعض الاعمال».
«ذلك العقد؟ استغرق توقيعه فترة طويلة، اليس كذلك؟».
اغلقت عينيها. من هو المتلاعب بالوقت؟ لم تجبه فقال:
«ما هي لعبته؟».
«لا ادري. هل لديه لعبة معينة؟».
«بالتأكيد. لا يقوم جوردان بشيء بدون سبب».
ومن يعرف جوردان احسن من اخيه؟ وتساءلت اذا ما كان ستيوارت يعرف كل شيء. الا انها قررت، بعد لحظة تفكير، عدم احتمال اطلاعه على الخبر، اذ غادرت المكان مع جوردان صبيحة يوم الاثنين بعد توديع ستيوارت شبه النائم في سريره.
«جيرد؟».
«نعم. . .».
وانقلبت وضعاً مريحاً اكثر اذ انها مدت قدميها على الكرسي المجاور. وغالباً ما تساءلت. . . رغم انه لم يخطر ببالي الا بعد الحادثة. -
«ماذا؟».
«هل كانت هناك علاقة ما بينك وبين جوردان؟».
ولا بد انه سمعها تتنهد اذ قال بحدة:

«نعم كانت هناك: لا ادري لماذا كنت اهمس، فطوال الوقت، كان السبب هو اخي ولم اعرف انا شيئاً، كما لم يفصح لي بشيء، حسناً. . .».
ثم بدأ ستيوارت الضحك بسخرية مريرة.
وجلست في مكانها، صامتة. وبعد الصمت السؤال:
«هل ما زلت هناك؟».
«نعم».
واجبرت نفسها على الاجابة:
«الا انك مخطئ. لم يكن لجوردان علاقة فراغ يحلم فيها بي او حتى. . .».
«جيرد، لا حاجة لخوفك الآن. الا تعلمين باننا كنا نتصادق احياناً فتاة واحدة؟ الا ان جوردان لم يكن جاداً بامر الفتيات، وعلى اي حال».
لم يكن الامر مفاجئاً، الا ان النغمة كانت باردة.
«باستثناء ديانا بالطبع».
«ديانا؟
هل هي خطيبته؟».
«كلا، انها ترغب بذلك، الا انها ستكون محظوظة لو تمسكته».
«آه، لم اكن اعرف ذلك».
«بالطبع، نسيت غيابك عنا فترة طويلة. ان لجوردان علاقة بديانا بدأت في العام الماضي» ثم اضاف بخبث «وانها فتاة طيبة اذا كنت راغبة في الفتيات الايطاليات البدينات».
«هل هي ايطالية؟».
«كلا بل انكليزية. الا انني اعتقد انها بحاجة الى دروس منك في اخضاع الرجل لسيطرتها».
وبدا ان خلال الغرفة المظلمة اقتربت منها اكثر. ارتجفت واحست بقلبها يغوص بين اضلاعها، ثم سمعت الصوت من جديد:
«ولا تعليق؟».
«ولا تعليق».
اجابت بكسل.
«احسبت بالخيبة».

«صحيح؟ ستيوارت ان الوقت متأخر جداً وأحس بالبرودة. هل تزعج
انا. . .».
«باردة؟ في ليلة دافئة كهذه؟ لا بد انك. . .».
«نعم الجو دافئ»، لكنني يجب ان انام اذ علي الذهاب للعمل غداً. هل
تستطيع النوم الآن؟».
«سأحاول. هل ستأتين لزيارتي قريباً؟».
«اذا رغبت في ذلك».
اجابت بارهاق.
«لا بد انك متعبة فعلاً. انك حرة الآن حتى الغد. ليلة سعيدة».
وكانت تلك الليلة بداية اتصالاته الهاتفية الليلية بها.
وبدا وكأنه يستعيد راحته خلال حديثه معها وغالباً ما دار حديثه عن
اصدقاءه هم مجرد اسماء بالنسبة اليها وعن سوزان وليون وجوردان احياناً.
لم تستطع الغاء المكالمات التلفونية رغم احساسها بالتعب الشديد عند
منتصف الليل. اذ فكرت بأن تعبها لا يهم ما دامت تساعد ستيوارت على
قضاء لياليه الوحيدة. كما لم تستطع رفض دعوة ستيوارت لقضاء عطلة نهاية
الاسبوع المقبل في منزله. وبدا لها غريباً ان الدعوة صادرة عن ستيوارت
وليس بموافقة جوردان، ولن تتم بحضوره حسب ما علمت من ستيوارت.
ولم يكن ستيوارت اكثر خبرة مما اعتقدت، بل كان جاهلاً بمخطط اخيه
لجيردا. ما الذي سيقوله ستيوارت اذا علم بخطة جوردان؟ صحيح ان
لستيوارت أخطاءه الا انه لم يكن غبياً. قد يدفعه الخوف الى التهجم،
وهذا شعور انساني وطبيعي، ولن يعمد لذلك بنفسه.
وربما لم تكن قسوة جوردان ضرورية، فكرت جيردا ببراءة، اذ اكتشفت
ان تعاستها ومشاعرها قد تقودها الى التضحية برغباتها. فلماذا يجب محاربة
قدرها المظلم؟ يبدو ان قدرها مرسوم منذ زمن بعيد حين ستحطم سعادة
مستقبلها وتنتهي حياة من احبهم. لقد فقدت اولاً والديها الحبيبين ثم بليز
وحتى ستيوارت الذي احبته بطريقة تختلف عما أرادت. وعوارد من تدين له
بالاخلاص والمودة، وفوق ذلك طغى شبح جوردان بلاك.
لم يستطع رجل واحد امتلاك قوة تحطيم حياتها، او منحها السعادة؟
واذا استعادت ما جرى في السنوات الاربع الاخيرة تساءلت هل كان في

مقدورها سلوك سبيل آخر. هل كان بامكانها التصرف بطريقة اخرى؟ لماذا
لم تستطع حتى الآن، الاستقالة وترك كل شيء خلفها؟
ثم تتوجه الى مكان آخر، اي مكان، حيث لا تعرف احداً ولا تحاول
النسيان؟
بحلول يوم الخميس، كان هناك بعض التحسن في صحة عوارد.
وسمح له لاول مرة بالجلوس فترة قصيرة، واحس ميرك بفرح غامر، وقال
بحماسة شديدة:
«ستستعيده بيننا خلال فترة قصيرة جداً».
الا ان جيردا كانت اعلم بما يجري، انها واصلت زيارته في المستشفى
وواصلت الاستماع الى تحذيرات الاطباء له، الذين حذروها من ان التوتر
والارهاق سيشكلان خطراً على صحته بعد اصابته بضعف القلب وسيمر
وقت طويل قبل ان يستطيع عوارد مواصلة حياته الطبيعية، هذا اذا نجح
في ذلك. لكنها احتفظت بمخاوفها لنفسها. وكل ما عملته هو محاولتها
تسليته ورفع معنوياته قدر الامكان وابعاده عن المشاكل والقلق.
وانتابتها احياناً الرغبة في الاتصال بجوردان والتوسل اليه كي يلين معها
كانت العملية مهينة لها الا ان احساسها بالمرارة منعها. الى جانب خوفها
من الفشل. في مثل تلك اللحظات انتابها غضب جامح لحضور ميرك
السلبي الذي اكتفى بمتابعة الاعمال اليومية مكرراً بان لا سبيل لمنع
حدوث ما هو مقدر حدوثه. لم يكن قلقاً ولعلّ هذا سبب عدم حضوره على
مركز عوارد.
ومن الغريب انها احست بالضياع حين حلّ منتصف ليلة الخميس دون
ان يتصل بها ستيوارت، فبررت سلوكه بانه، هو ايضاً، ضجر من
المحادثات الليلية وانه اكتشف الا ضرورة لها. او لعله ظن ان لا داعي
للاتصال بها ما دامت ستقضي عطلة نهاية الاسبوع معه، لذلك دهشت
حين رنّ الهاتف فجأة في الوقت الذي استعدت فيه لدخول الفراش.
«سأجلب معي بعض الحبوب المنومة».
قالت مباشرة حالما امسكت بسماعة الهاتف. فاجابها جوردان:
«انني لا احتاجها اطلاقاً».
دهشت فقال:

«من الذي توقعت مخاطبته؟».

«ستيوارت».

وانتظرت تعليقه:

«فهمت بانه كان على اتصال بك وانك قادمة لزيارته غداً».

«نعم».

«حسن جداً. لم اتوقع ان اكون بلا عمل الا انني سأمر بك عند منتصف النهار».

«لا داعي لذلك اذ رتبت كل شيء، سأذهب بواسطة القطار وسينتظرني ليون قرب المحطة».

«ستأخذك معي. انه يوم مزعج للسفر بواسطة القطار خاصة اننا في موسم العطل الآن».

«لا يزعجني ذلك و. . .».

«ان الوقت متأخر للمجادلة. سأمرّ عليك منتصف نهار الغد وسنتغدى سوية في طريق الذهاب. الى اللقاء».

وانهى الاتصال الهاتفي قبل ان تعترض تاركاً اياها ممسكة بسماعة الهاتف. [illegible] الترتيب كله [illegible] حتى اليوم التالي حين وصل في الوقت المحدد ودخل الى الصالة مباشرة:

«اتريد سيجارة؟».

«كلا شكراً».

ولم تكن مهيأة تماماً اذ انها احست برغبة في تأخير رحلتها معه فتفقدت ارضية المطبخ عدة مرات وتفقدت ان كل شيء بمكانه.

واذ دخلت المطبخ ثانية سألها:

«وماذا عن الموقد الغازي؟».

«لقد اطفأته».

ودخلت الى غرفة النوم لتأخذ سترتها، ثم حملت حقيبتها ووقفت في انتظاره. الا انه تمهّل في مكانه وقال:

«نسيت النافذة مفتوحة».

وبحركة واحدة قام بما كانت على وشك القيام به عند وصوله. ثم نظر اليها والى الشقة المرتبة:

«الا يبدو عليك الفرح. هل ان فكرة الزواج من اخي لا تزال تزعجك؟».

«ليس الامر مضحكاً. واعتقد بانني اوضحت موقفي بصدد الموضوع. هل تتشاجر الآن؟».

«لحظة واحدة».

وببرودة تفحص وجهها وعينيها الجريئتين الرافضتين دائماً التضاؤل تحت قوة نظراته.

«اعرف جيداً بانك تحتقرينني، وانك تظنين باني قاس ومخادع الا انني ارغب في تذكيرك بشيئين، اولهما مهم جداً بالنسبة اليك. ولا اعرف بالضبط لماذا تعطين هذه الاهمية الكبيرة الى جيرنخولدز والعقد. ان رؤسائي في الشركة يثقون بي الى حد معقول فقط واشك كثيراً بانهم سيمهلونني فترة طويلة. وكل ما استطيع التفكير به تبريراً لموقفك هو وجود علاقة معينة بينك وبين هوارد دوريل، المعرّض للافلاس اذا ما خسر العقد. هل تربط بينكما علاقة ما؟».

«لا علاقة لك بالامر اطلاقاً».

«كلا، ولكن معرفة ذلك ستوضح الكثير من الامور».

«هل هناك شيء يتطلب التوضيح؟».

سألت ببرودة ثم اضافت:

«الا تعترف بان شروطك واضحة وفجة؟».

«كلا، اذ ان الجانب الاخلاقي غير واضح».

«اخلاقي! انها آخر ما يمكن استخدامها لوصف خططك».

«كل ما افكر به هو وجهة نظرك وموقفك بصدد القضايا المهمة لك».

والقى نظرة سريعة على ساعته:

«بينما افكر انا بأخي ويهمني جداً حالته».

«التساؤل فيما لو كان هناك شخص او شيء يهمك فعلاً».

وانحنت لتحمل حقيبتها لكنه خطا الى الامام بسرعة وسحبها من يدها فتركت الحقيبة حالا خائفة ان تلمس يده.

«ما الذي تريد قوله؟».

«اريد ان اقول: تقع عليك مسؤولية ثقيلة تجاه اخي ولا تحاولي ابداً

نسيان ذلك».

«وهل ستترك لي فرصة النسيان؟».

«كلا».

ثم وضع يده على كتفها قبل ان يقول:

«هناك شيء آخر...».

ووقفت صامتة، رافعة النظر اليه، محاولة ان تعي المحادثة عند ذلك الحد، قبل ان يرسخ حضوره ذكريات مؤسفة في شفتيها.

«لا تحاولي اثارة اهتمام اخي، ثم تحطيمه بعد ذلك. اذا فعلت ذلك، اقسم بانني سأجعلك تأسفين كل لحظة».

فتح الباب وانتظر منها المغادرة اولا ثم حرص على اغلاق الباب وقفله. ويقودون ان يتفوه بأي كلمة صاحبها الى خارج البناية. ولذ بدا سوية، كان الجو صحواً والشمس مشرقة الا ان جيردا احست ببرودة غريبة رغم حرارة الشمس، ثم فتحت باب السيارة.

تركها جوردان لحظة وصرفها مباشرة الى هربن ريج ومضى بعض الوقت قبل اكتشافها عودته الى المدينة، وقال ستيوارت معلقاً:

«اتمنى ان يأتي غداً اذا احدثت مفاجأة له».

همهمت شيئاً ما دون ان تسمع، حقيقة، النصف الثاني من ملاحظته. لماذا اصرّ جوردان على القدوم معها؟ هل تكبّد مشقة المجيء الى شقتها ومن ثم اصطحابه لها الى هربن ريج لمجرد اعطائها الانذار الاخير بصدد اخيه وزواجها منه؟

ولما تذكرت ان ستيوارت ينتظر جوابها، هزت كتفيها فلاحظت تقطيبه.

«ماذا جرى؟».

اجابته بيسر الى آخر:

«لا شيء. ماذا يمكن ان يحدث؟».

«هذا ما انا اسألك عنه يا عزيزتي».

ومدّ يده نحو اناء يحتوي انواع الفاكهة واختار خوخة كبيرة قدّمها لها ثم اختار واحدة اخرى لنفسه.

«نظراتك توحي بالشعور بالذنب».

وكادت ان تسقط الخوخة من يديها، الا انها امسكتها بقوة وقضمت جزءاً منها:

«اني قلقة. كنت افكر بجوارد واشياء اخرى...».

نظر ستيوارت اليها بثبات وبدا كأنه يزن الخوخة:

«هل هذا صحيح؟ اشعر بانني خبير بقراءة تعابير الوجه وماذا تخفي».

والتقط سكيناً قطعاً وازال نواة الخوخة.

«ولدي المتسع من الوقت للتفكير والممارسة. لنأخذ جوردان مثلاً».

توقف عن الكلام وادركت مدى فشلها في اخفاء مشاعرها.

«كان المفروض ان يلتقي جوردان برجل اعمال مهم جداً خلال اليوم اذ سيتوقف الرجل في لندن عدة ساعات فقط في طريقه من اميركا الى بروكسل وميونيخ. وبسبب هذه الشخصية الهامة الغى جوردان عن وعده لديانا بقضاء العطلة معها في احد الاماكن القريبة من نهر التايمس وكانت ديانا تعاني من الصدمة وتحاول جهدها اعتصار بعض الدموع... يا لها من مسكينة، الا انها كسرت احد اظافرها وهي تقشر البصل».

«ستيوارت، انك مخلوق بائس بلا قلب. وبكلماتك نبرة فتاة غيورة».

ضحكت جيردا آملة ان تحوّل الجملة الاخيرة عن موضوع اخيه واضافت:

«اخجل من نفسك».

«كلا، ما عملته هو اني كررت كلمات سوزان في وصف ديانا. وفي الحقيقة ديانا وسوزان صديقتان مخلصتان واعتقد بانك ستكونين الثالثة».

«بلا شك على لاحظت العصير على قميصك».

«لا يهم» وابتلع ستيوارت آخر الخوخة واضاف «وبناء على ذلك، لم يضيع جوردان صباح يوم الثمين في اصطحابك الى هنا؟».

«لا ادري، اذ اخبرته الليلة الماضية الا داعي لازعاج نفسه».

«آه، خمنت وجود شيء خفيّ. اذن كنت معه الليلة الماضية».

وظهرت على وجهه سيماء الانتصار خبيث.

«كنت اعلم بانه يخدعني، عفواً القاضي بانك ظهرت فجأة... يريد ان يبعدك الي. لماذا؟ ماذا يجري حولي؟».

«انك تتخيّل الاشياء».

«كلا، ادركت ذلك في نهاية الاسبوع الماضي. وانا متأكد الآن».
وتحوّل تعبيره من شبه الجد الى الشك.
«اصغي اليّ يا جيرداً. لمدة ثلاث سنوات لم تكوني انت موجودة بالنسبة الى جوردان. ثم ها انت هنا فجأة، وتبدين مذعورة حتى من ظلك احياناً والشعور بالذنب يجثم على صدرك احياناً اخرى، بينما يشعر اخي الكبير وكأنه يحسب كل خطوة بعناية».
ودار ستيوارت بكرسيه حتى اصبح على مقربة منها. وكانت الحركة المفاجئة تطلقها مثيرة للاضطراب فمسحت اصابعها في عصبية بمنديلها:
«اخبرتك من قبل بالحقيقة، انني لم التق بجوردان الا قبل اسبوعين».
لم يبد على ستيوارت انه اصغى الى كلماتها وعضّ فجأة على شفتيه ونظر اليها بحدة:
«انك لم تخبريه بما حدث، اليس كذلك؟».
«كلا، لم اخبره ابداً».
«شكراً لذلك والا لدفعت الثمن غالياً. اعتقد باننا نجحنا في اخفاء الحقيقة عنه... ولكن جوردان...».
وضغط بيده على جبينه:
«كانت الايام التالية للحادث مثيرة للاضطراب. واذا حاول استعادة احداثها لا اتمكن لذكر الكثير. كل ما اتذكره هو وجوب عدم معرفة احد بالسر فيما عدانا».
تنهدت قائلة بهدوء:
«انس الموضوع. اذ لا احد يعرف سرنا الآن».
كان ستيوارت صامتاً ووشى وجهه بالتأمل ثم قال اخيراً:
«لم تكن حسنى السلوك معك، اليس كذلك؟».
ونهضت من مقعدها وسارت عبر الغرفة لتلقي نظرة على لوحة موضوعة فوق الخزانة الجانبية، ثم سألت:
«نعم، انها مزعجة».
«لا اعتقد ذلك».
وتفحصت عن قرب ما بدا لها سطحاً رملياً مهجوراً عند الغروب. كان للبحر سطح احمر قاني هادئ، واحاط اللوحة جو يشير الى الموت.

«هل توجب عليك رسم اللوحة لتلك الجزر واحتشاد الساحل بالاوساخ؟».
وتوقفت عن الحديث حين رأت فجأة الاشكال المخيفة في اللوحة:
«متى رسمت اللوحة؟ انها مخيفة».
«هل تستهجنين وجود الجماجم؟».
وكان الرضى واضحاً في صوته كما لو ان صدمتها ارضت رغبة دفينة في اعماقه وقال:
«رسمت اللوحة خلال تأثري بلوحات دالي، وقبل ان اكتشف انني لم اكن موهوباً في الرسم، الا انها مجرد بداية».
«اعتقد انك تستمتع بصدم مشاعر الناس».

«انه واحد من الاشياء القليلة التي تركت لي لاتمتع بها، هل تريدين شراباً؟».
«نعم رجاء».
وخلط كأسين من الشراب لهما واضاف بعض الثلج الى قدح جيرداً ثم قال:
«حسناً، اشربي وتناولي كأسك، وقولي شكراً بالطريقة المناسبة».
«هل تعني ان عليّ دفع الثمن؟».
اجابته بثبات محدقة في اليد الممسكة برسغها.
«اليس هذا جزءاً من الخطة؟».
وحرر يدها وابتسم بسخرية مضيفاً: «الا انني لست غبياً كما تعلمين».
«لا اعتقد انك غبي اطلاقاً».
وتراجعت الى مقعدها حيث جلست، وسألت:
«اين سوزان وليون؟».
«ذهبا الى ايست بورن».
«الا تشعر بالغيرة؟ في حال نشوء علاقة بينهما».
اضافت بعجل، خائفة ان يسيء تفسير قولها.
«كلا، اطلاقاً اذ ان سوزان ملك لي».
تناولت قليلاً من شرابها، واعية لتوترها متسائلة عن مدى تحملها

لضغوط ستيوارت. قد يكون قاسياً مثل جوردان وهذا ما يمنع جوردان الحق بالقلق على اخيه، ورغم انها جادلته بشدة، في المرة السابقة، ودافعت عن موقف ستيوارت نحو الحياة، الا انها غيّرت رأيها الآن. . . انها لاحظت ان عجزه احاله الى شخص محروم يعاني باستمرار ويراقب الآخرين بطريقة تدفعه الى الرغبة بإملاء رغباته عليهم. في امكانه فهم حالته بالتأكيد الا ان احساسه الحاقد كان مثيراً لاضطرابها. ولأول مرة اكتشفت قبولها وجهة نظر جوردان بأن نظرة ستيوارت الى الحياة غير صحيحة.

«وها نحن نعود الى مناقشة موقفك. ترى هل اكتشفت بعد هذه السنوات اني اعني شيئاً لك؟ ام انك النهاية الحاقدة للاكتشافات؟»

وتولد في داخلها اقتناع خفيف بانه يعرف خطة جوردان.

«توقفي عن التظاهر يا عزيزتي، ألا تعترفين بانك مستخدمة الغرض لتمهيد الطريق لخطوة اكبر؟»

وعذّبها احساسها بالذنب وحدقت في وجه الشاب الساخر متسائلة عن افضل حلّ للتخلص من موقفها في الخلاف بين الآخرين. الا ان ستيوارت لم يزعج نفسه بانتظار جوابها بل قال بمرارة:

«ان الامر واضح تماماً. يأمل جوردان بنجاحك حيث فشل هو».

«ولكن كيف فشل؟»

«ان لجوردان شخصيته المسيطرة، ويحب ادارة حياة الآخرين، ويشبه في ذلك والدنا. انه قاس وصعب المعاشرة ويأمل بين يديه دائماً صلاحية ادارة الامور المالية. . .» وتوقف ستيوارت عن الحديث فجأة، ثم توجه بكرسيه الى مكان قرب النافذة حيث تطلع الى خضرة الحديقة، وفضحت ملامحه غضبه الشديد.

«ولماذا يجب ان اكون معتمداً عليه؟ اتمنى احياناً لو انني لم اولد لو لم تكن والدتي ضعيفة الشخصية لما كنت في حالتي هذه. آه ارجو ان تنتهي وتتركيني وحدي، لا اريدك. لا اريد رؤية احد».

وصدمتها فجائية الكلمات فوقفت مدهوشة، الا ان رؤيتها لرأسه المتكئ على حافة الكرسي بألم جعلها تشعر بشفقة لا حد لها انستها مخاوفها ويأسها فركضت اليه وجلست الى جانبه:

«ستيوارت. . .» وحدقت بعدها نحوه «وما هذا؟ الا تستطيع اختياري؟

انك لا تعني فعلاً ما قلته. انا متأكدة بأن جوردان. . . هل انت متأكد؟. . .»

وتوقفت عاجزة عن التوضيح اكثر، باحثة عن تفسير لما قاله.

«انها الحقيقة. الا انك لا تريدين سماع كل شيء».

«واذا كان الحديث سيساعدك ويشعرك بالراحة، فحدثني اذن واذا كان الامر عكس ذلك فسأتركك وحدك».

«كلا».

وامسك بيدها، وشدها بقوة الى صدره:

«لا تبتعدي عني ثانية. لم اشعر بأهمية الامر قبل الحادث، لما كانت علاقتي بجوردان حسنة. فنحن لم نحاول الالتقاء دائماً واكتفينا بتبادل المجاملات دون اثارة بعضنا، ولم اكن بحاجة الى الاعتماد عليه. اشعل لي سيجارة رجاء».

قال هذا في محاولة لاستعادة هدوئه وتجنب النظر مباشرة اليها.

«وحدث ان والدينا افترقا حين كان جوردان طفلاً. لن اخبرك كل التفاصيل السيئة بل سأكتفي بالقول ان والدي كان قاسياً، متجهماً بينما كانت والدتي ضعيفة وحنونة ولم يستطيعا العيش سوية، وهذا سيساعدك على فهم الاختلاف بيني وبين جوردان.

بعد ذهاب امي تولى والدي تربية جوردان بطريقة خاصة، وارسله الى احدى المدارس حيث كان عليه النهوض عند منتصف الليل لكسر الثلج واذابته قبل الاغتسال والاستعداد لانواع الاهانات قبل تناول الافطار.

لكن والدتي عادت للعيش مع الوالد حين كان جوردان في الرابعة عشرة من عمره وكنت انا النتيجة، ويفسر ذلك اختلاف العمر بيننا. انا نعود الى قطبين مختلفين، واعتقد بانني كنت محظوظاً اذ تغير والدي قليلاً بعد ولادتي واصبحت معاملته اقل قسوة من السابق، لذلك لم أعان من قسوة المعاملة التي تلقاها جوردان».

«لا بد انك كنت صغيراً حين توفي والدك».

«توفي في اليوم التالي لعيد ميلادي العاشر. واذكر بانني غضبت لانه رفض شراء بندقية لي. ثم ندم في اليوم التالي ووعدني بشرائها. كان ذلك في الصباح الباكر. وتوفي الوالد مساءه».

وهز ستيوارت كتفيه مضيفاً:

«وتحمل جوردان مسؤولية ادارة الاعمال مباشرة وكان مركز والدي ملائماً تماماً لجوردان الذي احتلّ مكانه في كل شيء، بشكل طبيعي».

قالت جيردا معلقة بنعومة:

«كان لا بد من وجود احد يتحمّل المسؤولية. ولم يكن هناك احد غير جوردان».

وبقي ستيوارت متوتراً، فاحست بالحاجة الى التوضيح اكثر، رغم كراهيتها لاتخاذ موقف مؤيد لجوردان:

«قد تجد ان كل شيء صعب الآن. ولكن بالنسبة الى جوردان، فحاول الحكم عليه ببراعة، فهو قام بكل شيء يستطيع انسان القيام به من اجلك».

«آه، نعم، اقرّ بذلك. ولكن لماذا لا يدعني انجز الاشياء بطريقتي انا؟ ما الذي يفعله؟ انه يأتي دائماً للتأكيد عليّ، ليتفقد اصدقائي، انه قاسٍ في سلوكه نحو سيزان، يلقي عليّ المحاضرات حول السلوك الحسن، ويصرخ متشكياً اذا ما استلم قائمة مصروفاتي. ما الذي يتوقع مني عمله؟».

لم تعلق جيردا بشيء، اذ لم تجد شيئاً تقوله، لأنها وجدت ان كلا الاخوين محقان ومخطئان في الوقت نفسه. الا انها لم تجد حلاً ملائماً. . . باستثناء. . .

«جيردا، انا في انتظار رأيك».

ونظر اليها مبتسماً.

«هل انت بانتظار معجزة تحلّ كل مشاكلك؟».

«كلا، بل في انتظار حديثك الحيوي المقنع».

«حديث حيوي؟ ماذا تعني؟».

«لا تتظاهري بالبراءة. اعرف ان مجيئك تمّ بترتيب من جوردان آملاً ان يعيد اليّ حيويتي وشعلة الحياة في داخلي. ان تحاولي اقناعي باجراء العملية في المانيا، اليس ذلك صحيحاً؟».

كان قريباً من الحقيقة وامتلكها احساس بذكر كل شيء له، الا انها نجحت اخيراً في التخلص من ذلك الاغراء، اذ ليس في مستطاعها

احداث قطيعة اكبر بين الاخوين، مهما كانت الاسباب الداعية لذلك. ثم ان ستيوارت كان مخطئاً في شكوكه. قد يكون جوردان مغالياً في سلوكه الا انه كان بالتأكيد مهتماً بستيوارت الى حد لا يمكن انكاره. الى حدّ انه كان مستعداً لتحطيم حياتها وحياة آخرين من اجل اعادة الامل الى اخيه.

واحست بالكآبة تتملكها اذ لم تجد سوى هذا الجواب تتلفظ به:

«كلا، ستيوارت. ان حكمك خاطئ. لم يذكر جوردان كلمة واحدة عن اجرائك العملية، قبولك او رفضك اياها. واقسم بذلك».

«لكنه سيثير الموضوع حتماً».

هزت رأسها مرة اخرى، عاجزة عن هز شكوكه رغم جوابها المقنع.

«حسناً، اذا ما ناقش الموضوع معك فانني لا ارغب بسماع اي شيء عنه وخاصة منك يا جيردا. انها حياتي وليس لاحد الحق بتوجيهي الى ما افعله او لا افعله. هل تفهمين؟».

اومأت ايجابياً وساد بينهما الصمت للحظات قصيرة. ثم استدار بكرسيه متوجهاً الى المكتب الصغير حيث فتح احد الادراج وتناول منه قنينة حبوب فتحها، ثم التهم حبتين في آن واحد.

«وما هي هذه الحبوب؟».

سألت لأنها احست بالحاجة الى كسر طوق الصمت حولها اكثر من احساسها بالفضول.

«حين يبدو العالم مظلماً، تساعدني الحبوب على تحمله. . . جيردا. . .».

«نعم».

واستدارت نحوه واحست بالخوف لرؤى نظرته المؤلمة واذ مد يده نحوها لم تجد امامها غير الرضوخ لطلبه وامسكت يده محاولة الابتسام في الوقت نفسه.

«حاول الابتسام يا ستيوارت والا اتهموني بالاساءة اليك اذا ما عادوا ووجدوك في هذه الحالة».

«انهم يعرفون مزاجي احسن منك يا عزيزتي. هل انت متأكدة ان جوردان لا يستخدمك في احدى لعبه؟».

«ليجبرك على تغيير رأيك؟ كلا، لم اعرف بالموضوع حتى اخبرتني».

ولا بد ان شيئاً ما في نظراتها الثابتة النعسة، اذ اومأ برأسه رغم الحاجه بسؤال جديد:

«ولكنك توافقينه الرأي، أليس كذلك؟».

«نعم، ولا اعدك بانني لن احاول اقناعك باعادة التفكير في المسألة».

وحدّق في وجهها لفترة طويلة كما لو رغب في اكتشاف الحقيقة في ملامحها، ثم قال:

«هل سيهمك ما سيحدث لي؟».

«بالطبع يهمني الأمر. لا تزال حياتك امامك وعليك الا تيأس ويجب الا تضيّع حياتك».

«والآن انت تؤمنين فعلاً بوجود معجزة قريبة؟».

«كلا، لا اؤمن بوجود معجزة، بل اؤمن بوجود الأمل».

تنهّد بعمق ومس يدها بحنان:

«جيردا، لا تتركيني مرة اخرى رجاء. عديني بالبقاء».

٥ - الصباح يجلب الغيوم

عادت سوزان وليون بعد فترة قصيرة بالبضائع، بعدما تسوقا في ايست بورن.

كان ترحيب ليون بجيردا ودياً، الا ان سوزان ابدت وبوضوح شكوكها بصدد الزيارة ولم تبذل اي جهد لاخفاء مشاعرها. كانت سوزان صغيرة الجسم، ترتدي بنطالاً اخضر وقميصاً مزيناً بورود صغيرة وسيطرت على جو المكان كله طوال فترة العشاء، وتجاهلت حضور جيردا كلية. الا ان ستيوارت بدا في مزاج افضل، لذلك صارحت جيردا رغبتها في اللجوء الى السكوت طوال الوقت وحاولت الا تظهر المها حين اجتمعوا بعد العشاء في شقة ستيوارت للاستماع الى الاسطوانات الجديدة التي اشترتها سوزان في ايست بورن.

اطفأ ليون بعض الأضواء ومع بدء الموسيقى تخلت سوزان عن تظاهرها الكاذب بالمرح، فركنت الى الصمت لفترة طويلة، مستلقية على الكنبة وعيناها في سقف الغرفة. وحين انتهت الاسطوانة رفضت المشاركة في مناقشتها. الا انها استعادت نشاطها فجأة حالما وضع ليون اسطوانة اخرى موسيقاها جزء من موسيقى فيلم شعبي معروف. فحملت مقعداً صغيراً وسارت متوجهة نحو ستيوارت وجلست الى جانب وبدأت تداعبه كما لو ارادت اظهار عواطفها للحاضرين.

لم يحاول ستيوارت منعها او تشجيعها بل اكتفى بالابتسام وعلى وجهه تعبير يوحي بأن افكاره بعيدة جداً عن المكان، كأنه لم يشعر بالذراعين النحيفتين تلتفان حوله واليد الناعمة تلمس وجهه بحركات بطيئة.

واخيراً، ركعت امامه واسندت رأسها الى حضنه، وتركت شعرها الأسود الطويل منسدلاً على ساقيه. نظر اليها وبدأ يتحسس شعرها محركاً اصابعه بخفة في خصلاته.

لم يبد التأثر على ليون للمشهد العاطفي، الا ان جيردا اضطربت لذلك. اذ لم تستطع ابداً اظهار عواطفها وحبها لشخص امام الآخرين ولم تفهم كيف تستطيع سوزان ذلك امامها. حاولت التركيز على سماع الموسيقى والنظر الى الجهة الاخرى فسمعت ليون يضحك ضحكة قصيرة، واذ نظرت رأت ان ستيوارت دفع كرسيه الى الوراء ببطء ولم تشعر سوزان بحركته فوقعت ارضاً.

وتحول لون وجهها الى لون قرمزي لشدة الغيظ:

«وحش، وحش»،

صرخت بصوت عال:

«اكرهك، اكرهكم جميعاً».

وبدأت البكاء بشكل مفاجئ، ثم غادرت الغرفة حالاً.

ونظرت جيردا بدهشة الى الرجلين، هزّ ليون كتفيه استهزاء بينما عبس ستيوارت بقسوة:

«لا تقلقي ستتخلص من هذه النوبة بسرعة. ان عزيزتنا سوزان مخلوقة مزاجية».

«ولكن الا يذهب احد...؟».

واشارت برأسها نحو الباب.

«كلا، لن تشكرك لذلك».

وعدل ستيوارت الكرسي المقلوب:

«بل انها في الحقيقة تتمتع بالبكاء كثيراً. الا ترغبين بالجلوس الى جانبي وتسند رأسي المتعب؟».

واشار الى المقعد المجاور له.

«كلا، لن افعل ذلك».

واحست جيردا بانها غير قادرة على العمل اكثر. وتذكرت احساسها بالارتياح حين علمت بعدم مجيء جوردان لقضاء الليلة في المنزل، لكنها ندمت لذلك الاحساس الآن وتمنت وجوده. اذ في استطاعتها التنبؤ الى حد

ما بخطورة جوردان الثائية ما يقودها الى تحصين نفسها ضده تبعاً لذلك. الا ان الامر مختلف مع ستيوارت اضافة الى وجود سوزان المضطربة عصبياً. نهضت من مقعدها متمتمة بعذر ما وغادرتهما بسرعة متوجهة الى غرفتها.

كان سكون المنطقة ليلاً وهدوءها مثيراً للاكتئاب او هذا على الأقل ما شعرت به جيردا، كان الهواء حاراً وهي على استعداد للترحيب حتى بصوت السيارات المسموع عادة خارج شقتها.

بينما لم تستطع هنا حتى سماع همسة واحدة، وهكذا قضت ليلة بدت وكأن لا نهاية لها.

وجلب الصباح معه الغيوم والرعد، واذ نظرت جيردا من النافذة وتساءلت عما يجب ان تفعله: تغيير ملابسها او العودة الى الفراش من جديد.

كانت الساعة السابعة ولم تسمع ما يشير الى استيقاظ اي شخص آخر في المنزل. جلست على حافة السرير وراقبت تجمع الغيوم السوداء من خلال النافذة. هل يتصرف ستيوارت وسوزان بهذه الطريقة دائماً؟ جدال، حب، وعراك؟ وبدت لجيردا صورة علاقة غريبة. اي سعادة يجدانها في تلك العلاقة؟ وما هو موقفها من المسألة كلها؟ وكلما امعنت النظر والتفكير لم تجد غير التعاسة. الم يستطع جوردان رؤية ذلك؟ لماذا لم تملك الجرأة على العناد؟ ان تهرب قبل ان تقع في المصيدة تماماً. . . حتى لو عنى الأمر خذلان جوردان. حتى لو . . . وقاطعها الى الخاطر صوت قرع الباب ثم سمعت صوتاً يقول:

«هل استيقظت؟ الشاي جاهز».

وفتح ليون الباب. ومن دون ان يرتبك لوضعها للتمرس، وضع الصينية جانباً ثم توجه نحو النافذة.

«هل اسحب الستائر؟ ام اتركها لتصد ضوء النهار؟».

«اسحبها رجاء. شكراً لجلبك الشاي اذ لم اتوقع هذا».

ابتسم ليون بهدوء وقال:

«اقوم باعداد الشاي كل يوم احد وهكذا تتاح الفرصة للسيدة بي للحصول على بعض الراحة».

وبدا عليه الاستعداد للمحادثة فسألته بكسل:

«ولماذا تدعوها السيدة بي؟».
«لأن اسمها الحقيقي هو بريدنغهام ونحن جميعاً كسالى».
«آه».
وبدأت تتناول بعض البسكويت مع الشاي وسألت نفسها عما اذا كان ليون مرضاً مؤهلاً، وكيف يستطيع التلاؤم مع مزاج ستيوارت المكتئب؟ اذ بدا لها شخصاً سهل المعشر وينتمي الى العائلة. لا بد ان ستيوارت محظوظ لبقائه معه.
رفعت عينيها وبحثت لنظرة ليون، ثم قال بمرح:
«ليست الأمور سيئة الى الحد الذي تفكرين به».
واذ واصلت التحديق في وجهه واصل:
«كنت قلقة في الليلة الماضية ولم استطع قول اي شيء في حينه، الا انني فكرت بالحديث عما حدث الآن. ظاهرياً، يعامل ستيوارت سوزان بقسوة وتستجيب هي لسلوكه مثل عبدة صغيرة. الا انهما في الحقيقة متفاهمان جداً. والأكثر اهمية ان حضورهما سوية يزود احدهما الآخر بصمام امانه».
توقف عن الكلام واستعد ليغادر الغرفة الا انه توقف عند الباب قائلاً من جديد بابتسامة للإدانة:
«لا تدعي الأمر يقلقك ولا تظهري القلق».
لم تكن ملاحظته اعتذاراً بل كانت نوعاً من التحذير والنصح. منعها من ماذا؟ وتساءلت بعد مغادرته. وتزايد اقتناعها بسلوكه التحذيري اثناء تغييرها ملابسها. ولكن لماذا التحذير؟ ولم تستطع التخلص من افكارها رغم حلول النهار، كما لم تستطع فهم تحذير ليون وتذكرت خوف جوردان من زواج اخيه بالفتاة الغريبة المحبة وتساءلت عما اذا كان ليون على معرفة بشيء يجهله جوردان. هل خطط للتهرب من مخطط جوردان؟ واذا كانت الفكرة صحيحة، فما علاقتها بالموضوع؟ هل كانت تتمنى منع الزواج؟ ما الذي سيحدث لو امتلكت قوة جوردان وسيطرته؟
كانت سوزان مرحة ذلك الصباح الى حد لا يتناسب وانفجارها العاطفي في الليلة الماضية. توجه الجميع الى الحديقة بعد انتهاء الافطار، ووجدت سوزان لعبة قديمة: عمود نصبته في زاوية من الحديقة وحلقات رمتها محاولة احاطة العمود بها، من مسافة معينة. ولم تبد اهتماماً بالأذى

الذي الحقته بالأعشاب بل واصلت اللعب بشكل طفولي وشاركها ليون اللعب لبعض الوقت. ولاحظ ستيوارت ملابسها قائلاً:
«انك تبدين مثل ملكة القلوب في تنورتك القرمزية».
«لا يهمني ما تقوله».
واطلقت شهقة بصوت عال لفشلها في وضع احدى الحلقات في مكانها الصحيح.
«اني اقوم بهذا من اجلك، لتعلم هذا؟».
«نعم دون ان اتحرك من مكاني».
«يا لك من وحش!».
«ولكنني اعرف انك تحبينني».
وانتاب جيرداً احساس غريب بالحضور في المكان وعدم الحضور في آن واحد. وبدت الحقيقة جزءاً من قصة «أليس في بلاد العجائب» وواصلوا اللعب حتى بدء سقوط المطر، حينئذ اقتربت سيارة سباق بيضاء من المنزل، توقفت عند الباب الخارجي. نزلت من السيارة فتاة زنجية ترتدي قميصاً ابيض وبنطالاً ضيقاً، حيت الحاضرين بألفة وسارعت لدخول المنزل.
همهم ستيوارت قائلاً:
«هل جلبت المطر معك يا ديانا، هل تعرفين جيرداً؟».
وعرف ديانا بجيرداً.
اومأت الفتاة برأسها تحية ونفضت عن ملابسها قطرات المطر قبل ان تسأل:
«اين جوردان؟».
«غير موجود. لماذا هل توقعت حضوره معنا؟».
«نعم، هو طلب مني المجيء، هل ما زال مقيداً بصفقته التجارية، ام ماذا؟».
«ان صفقته حاضرة الآن معنا».
واومأ برأسه تجاه جيرداً.
«صفقة؟».
ونظرت الى جيرداً متفحصة بنظرات عدائية، ثم قبلت الدعوة لتناول

الشراب واتخذت مكاناً مريحاً متصرفة كما لو كانت في منزلها.

لم تكن ديانا جميلة بالمعنى الكلاسيكي. فقد كانت عيناها صغيرتين وشفتاها ممتلئتين، الا انها كانت جذابة وذات ملامح متناسقة وجسد جميل.

وكانوا على وشك الانتهاء من تناول وجبة الغداء حين قدم جوردان. وبدت عليه الدهشة لرؤية ديانا وانتقل بنظرته الخاطفة الى جيردا ثم الى ديانا من جديد قبل ان يقول:

«لم اتوقع رؤيتك اليوم هنا».

وابتسمت براحة وقالت:

«الم تعلم؟ اراد ستيوارت ان يفاجئك».

قطب جبينه قائلاً:

«انا مندهش الى حد يثير الضجر. الا انني لا استطيع البقاء معك يا عزيزتي».

«لا اهمية لذلك، هناك الغد وكل الأيام المقبلة، هل تناولت بعض الطعام؟».

«نعم، الا انني سأشرب القهوة معكم».

وراقبها تصب القهوة ثم تحملها له. وجلست على ذراع كرسيه محركة ساقها بهدوء في الهواء. انحنت بنعومة اتجاهه حتى مست بجسمها كتفه ولم يحاولا اخفاء مشاعر الالفة بينهما وساد بينهما جو من الوئام اذ واصلت ديانا الحديث اليه بطريقة ناعمة لم يسمعها الآخرون. حاولت جيردا الا تراقبهما. هذه اذن فتاة جوردان!

وشعرت بالغيرة رغم علمها باستحالة العلاقة بينهما. فلماذا تخيلت ان جوردان يعيش وحيداً؟ كان جوردان في منتصف الثلاثينات من عمره وغير متزوج، ومن حقه اقامة علاقة مع اي فتاة يحبها.

الا ان ديانا كانت بسيطة جداً ومثيرة. . . وقبلت جيردا سيجارة قدمها اليها ليون وصممت على تجاهل جوردان، الا ان مخيلتها لم تتوقف عن تصور اللحظات المشتركة بينه وبين ديانا.

واستمر هطول المطر طوال الظهيرة. وغادرهم جوردان عند الساعة الثالثة معتذراً بضغط بعض الأعمال المستعجلة.

لم تبد ديانا ارتياحها لذلك واخبرته بصراحة. الا انه لم يكترث باقناعها

ونظر اليها باستقامة قائلاً:

«عزيزتي اظن انك تعرفينني الآن بشكل افضل من السابق، انا لا اقوم عادة بوعد فتاة بقضاء العطلة معها وتجاهلها اثناء ذلك. هذا الغيث وعدي معك».

«ماذا اذن دعيت الى هنا؟».

قالت وهي تتجه الى الباب.

«لكنني لم ادعك».

ولمس خديها بيده واحست جيردا بالألم يعتصر قلبها واضاف:

«الا انه لا يترتب عليك مغادرة المكان. ابقي واعتبري نفسك في بيتك».

وكأنما تخلص من ديانا، استدار ولم يخاطب شخصاً معيناً بل قال بشكل عام:

«ارجو ان يطلب احدكم من السيدة بي جلب شراب مبرد لي حوالى الساعة السابعة».

استجاب ليون لطلبه، ثم غادر المكان ليتوجه الى مكتبه حيث يستطيع انجاز عمله.

بقيت ديانا معهم حتى الخامسة ثم غادرتهم، ولم يحاول احد اقناعها بالبقاء. وتملكت جيردا الرغبة بمغادرة المكان هي ايضاً. لكنها، بدلاً من ذلك، توجهت لمساعدة ليون لازالة الصحون والاكواب بعد تناول شاي العصر، وشعرت بالامتنان لأنها وجدت عذراً يبعدها عنهم حتى لو تطلب العذر ان يقوم الضيف بغسل صحون مضيفه.

واستمر المطر بالهطول وكان لتوقع سقوطه على النافذة تأثير منوّم، سيطر عليهم جميعاً واشعرهم بالضجر. قال ستيوارت معلقاً:

«انه يوم احد انكليزي نموذجي».

وكان هذا اسوأ عطلة قضتها جيردا في حياتها، وحاولت جهدها تعزية نفسها بانه لم يبق غير ساعات قليلة لانقضاء اليوم كله وستغادر غداً صباحاً في وقت مبكر، عائدة الى روتين حياتها العادي.

جلس الآخرون لمشاهدة فيلم تلفزيوني بعد ان اعدوا كؤوس شرابهم وصحونهم مملوءة بالفستق وشرائح البطاطا المقلية. ولدى حلول الظلام

اصبحت جيردا اكثر قلقاً وقلت اخيراً من جهدها في محاولة التركيز على شاشة التلفزيون ونهضت من مكانها، بهدوء. لم يلحظ احد تسللها فتوجهت الى جزء الحديقة المزود بسقيفة تمنع المطر.

واخيراً توقف المطر عن السقوط، واصبح الهواء منعشاً ولفتت بطء في الممر المحيط بالحديقة. لم ترغب بالبقاء فترة طويلة في الخارج، خاصة حين برد الهواء واحست برعشة برد تسري في اوصالها. وقررت، بعد دقائق العودة الى الغرفة فسارعت خطواتها ولكنها توقفت جامدة في مكانها لحظة وصولها باب الشقة.

اراحت يديها على مقعد الحديقة وواجهت سبب قلقها. كان جوردان بلاك في المنزل الآن واحست بوجوده دون ان تدخل، رغم الحائط الفاصل بينهما. وغزت افكارها صورة ديانا، وقررت الا تذكرها لأي شخص آخر. كانت مشاعر كراهية مختلطة بالحسد والشفقة والخبط الطفولي. كرهتها لأنها كانت واثقة من نفسها ويطغى حضورها على حضور بقية النساء في اي مجتمع. احست بالغيرة لأن ديانا جزء من حياة جوردان وربما لأنه احبها بقدر ما سمحت له طبيعته بحب اي امرأة، ولأنها عرفت معنى وجوده العاطفي والانساني اكثر من اي شخص آخر. الا ان جيردا احست بالشفقة لأنها ادركت ان ديانا ستعاني من علاقتها بجوردان عاجلاً ام آجلاً. الا ان اي امرأة حمقاء تحب جوردان ستتأذى بطريقة ما، ما لم تكن ديانا عاقلة ما فيه الكفاية لئلا تحب. ربما كانت ذكية، مستعدة للأخذ والعطاء دون السقوط في فخ الحب. ربما تمتعت بالشكل الظاهري الناسب للعلاقة والمشاركة، خاصة ان جوردان سخي من الناحية المادية وكانت جيردا واثقة من ذلك.

ارتجفت واستدارت بسرعة لتهرب من افكارها فوجدته واقفاً خلفها. شهقت وتراجعت بشكل لاارادي:

«لم اسمعك».

«كنت على مبعدة اميال من هنا».

ووضع يده على المقعد كما فعلت هي من قبل ونظر اليها:

«بدا عليك محاولة الوصول الى قرار. . . اليس كذلك؟. . .».

«لم احاول شيئاً خاصاً».

«هل وجدت العطلة مخيبة للأمل؟».

«كلا، بل انها مبللة بالمطر».

«صحيح». ومشى لارتباكها «ماذا حدث؟ هل تشعرين بالبرد؟».

«كلا، نعم، اعتقد».

«قرري بسرعة. او ربما تريدين مني اتخاذ القرار بدلاً عنك؟».

وضع ذراعيه حولها وشدها الى صدره رغم تشنجها.

«كلا، ان الوقت متأخر الآن. لو لم ترغبي بالحديث الي قربت مباشرة. الا انك لست من النوع السريع في اتخاذ القرارات. اليس كذلك؟ الا انك ترتجفين برداً. . .».

وبدأ بتدليك ذراعيها لامساً نعومة قميصها الحريري.

«لم لا ترتدين شالاً؟».

«خرجت لاستنشاق الهواء في الغرفة. جوردان، اريد ان اتحدث معك. . .».

«اخبريني بما تريدينه، انا الى جانبك».

«نعم، لكن. . .».

وامسكت ظهر المقعد بقوة حتى شحبت، كان اقترابه منها مضمراً لمشاعرها ولم تعد قادرة على التفكير بأي شيء.

«ليس هنا، ليس. . .».

«ليس ماذا؟».

واجبرها على مواجهته، شاداً ذراعيه بقوة اكبر فلم تجد امامها غير النظر اليه بعينين باسمتين.

وانعكست السماء المظلمة على زجاج النافذة، فعثرت جيردا على تبرير موقفها.

«قد يرانا ستيوارت او اي شخص آخر. . .».

«لا اعتقد ان لذلك اهمية. بل قد تكون هذه فكرة جيدة. اثارة غيرة ستيوارت قليلاً، انه سيساعد على العودة الى المشاعر الطبيعية. لماذا اذن لا تقوم بذلك؟ انك ما زلت خطيبة لي. . . اليس كذلك يا جيردا؟».

وجذبها نحوه اكثر، واحست جيردا بخطورة موقفها وسيطرته الكاملة

عليها وادركت بانه يعلم جيداً مدى قوته ورغبتها فيه ايضاً.

وساعدتها افكارها الأخيرة على التصميم على مواجهته للمرة الأخيرة، بكل كبرياء فهمست:

«كلا، لست حليفة لك، لست سلاحاً تمتلكه بين يديك لتؤذي به ستيوارت. اتركني».

ضحك بنعومة لرؤية يديها الصغيرتين تضربان صدره بلا فائدة.

«ولكني لا اريد تركك. فانني احب التحاور معك، انك صغيرة وبارزة مثل الفولاذ ولكنك لست قوية مثله».

وامسك بيديها، فلم يعد بامكانها ابداء حتى تلك المقاومة الضعيفة، قاومته عبثاً ومالت برأسها جانباً:

«كلا، الا تذكر ما قلته تلك الليلة في تورين؟».

«وماذا قلت؟».

«انك لن تمسني حتى لو كنت آخر امرأة».

وتكسر صوتها امام رغباته وبدا أن ما قالته زاده اثارة.

«هذا ما قلته حينئذ. ونحن الآن في وقت مختلف. ان لك جاذبيتك الخاصة يا جيرونا. انك تحد صعب لأي رجل».

«لن احاول ابداً تحديك».

«كلا، انظري اليّ الآن ما لم تكوني خائفة».

وخدرتها لمسته الناعمة وكلماته المتطرفة بصوت خافت.

وواصلت محاولتها المقاومة، حاولت التغلب على ضعفها ورغبتها في الاستسلام:

«لن تتغير ابداً. انك تستخدم الناس للوصول الى غاياتك فقط. انك قاس وبلا رحمة».

«وهل انا كذلك؟».

ولم تؤثر فيه كلماتها ولم تتغير نبرة صوته.

واحست بالحقد يطغى عليها غير مصدقة لما سمعته اذناها وارتجفت غيظاً واحتقاراً له:

«انك حقير، انني اكرهك! اكرهك الى حد لا يصدق».

ارتخت ذراعاه، وللحظة ظنت بانه على وشك ان يضربها. الا انه ابتسم

بطريقة آلمتها اكثر:

«انا حقير اذن. انك لم تخبريني يا جيرونا».

وحدق في وجهها فترة طويلة ثم قال ببطء:

«اتساءل من هو المفتري منا. تعالي معي. هناك شيء اريد ان اريه».

وسرت رعشة الخوف في جسمها وتسمرت في مكانها بلا حراك، فدفعه القول:

«لا حاجة بك للوقوف بهذا الشكل متظاهرة بالبراءة، تبدين مثل قبلة الموت لأي رغبة انسانية».

ودون ان تنطق بشيء، تحركت دون ان ترى اتجاهها وابصرت التمرج على خديها، وتبعته وانحرفت بجسمها بعنف حين اصطدمت به لدى محاولته فتح الباب المؤدي الى مكتبه.

كانت الغرفة معتمة وبدا لها ان للظلال اسراراً مخيفة. وقفت عند الباب خائفة مما سيحدث ومدركة في الوقت نفسه ان مصدر خوفها الوحيد موجود الى جوارها في شخص جوردان. خطا في الغرفة واضاء المصباح، توجه الى الطاولة الصغيرة وصب كأسين من الشراب، ناولها احدهما الا انها قالت:

«كلا، شكراً. انا...».

«انت حرة».

وبدأ يشرب ما في قدحه.

قالت:

«وماذا في الأمر؟ اذا كان لذلك علاقة بذكرياتك الشخصية فانني لا ارغب بالانصات اليك. اتخذت قراري واخبرتك به من قبل، ولن اسمح لك بوضعي ضمن خططك. لن احاول رؤية ستيوارت مرة اخرى ولن احاول اقناعه بعمل شيء ضد ارادته اذ عانى حتى الآن ما فيه الكفاية».

واحست بالغضب يغلي في داخلها فصرخت:

«كلا لن افعل ذلك ولن تجبرني... هل تسمع؟».

لم يبد عليه انه سمع بل كان يبحث بمجموعة ملفات موضوعة في خزنته الخاصة الى ان عثر على ما كان يبحث عنه فسحبه.

كان ملفاً كبيراً، فتحه وبعثر محتوياته. كانت هناك مجموعة من الصور،

صفحات مليئة بالملاحظات اضافة الى اوراق ملونة خالية من الكتابة وما بدا كأنه تصميم احد الفنانين لغلاف ما.

استقام جوردان وبدا التصميم على وجهه الجامد.

«هل تتذكرين هذه؟».

وشعرت بالخوف ولم تستطع الاجابة على سؤاله.

«انظري».

وأشار الى الملف الموضوع على المكتب بلا اكتراث.

«كيف حصلت عليه؟».

«سلمني اياه وكيل لنا يوم الجمعة».

وبدا صوته منبعثاً من مكان بعيد. التقط واحدة من الصور وحدق فيها بشكل ساخر ثم التقط اخرى بيده اليسرى محدقاً لفترة طويلة ثم وضعها على الملف.

اغلقت جيردا عينيها واستندت الى الكرسي المجاور. لاحظت في نظراته ادانة للصور الجميلة، ادانة اشعرتها بالخجل. كيف عثر عليها؟ كيف يستطيع فهم طبيعة صورها المأخوذة عند ساحل البحر، وكيف يستطيع تقدير عمق كآبتها عند اتخاذها قرارها الحاسم قبل اربع سنوات؟ كم هي فظيعة طبيعة شكه الحالية!

نظر اليها دون ان يتأثر بيأسها التراجيدي وقال بلا اهتمام:

«الرومنطيقية في الماضي والحاضر. يجب ان اعترف بسحرك رغم عدم نضجه حينئذ..».

وتناول قدح شرابه مواصلاً:

«اخبريني هل تطلب الأمر منك شجاعة كبيرة، ان تدعي عدسة الكاميرا فرصة كشفك للعالم كله؟ ورغم الهالة الفنية المحيطة، الا اننا لا نستطيع غير رؤية النوارس والأمواج وبروز من بين الضباب جسد حورية البحر. يجب ان اعترف بموهبة المصور اذ انه بلا شك فنان كبير».

«اقسم المصور بأن لا احد يستطيع التعرف الي. وتم التقاط الصور لغرض معين وقال بانه لم يرغب باللجوء الى «موديل» محترفة لأنه لم يجد واحدة منهن ملائمة».

«وما عندك لعرض شبابك وبراءتك!».

«وكرهت نفسي بعد ذلك. الا انه عرض علي مبلغاً كبيراً من المال وطردته في البداية. الا ان شيئاً هاماً حصل فيما بعد فاحتجت الى المال».

وتحشرج صوتها وحاولت السيطرة على نفسها. وعجزت دموعها المتساقطة فمسحت وجهها بظاهر يدها:

«ولماذا حصلت عليها؟ لماذا؟».

«انها من بين مجموعة ارسلت الينا لنختار بعضها لتقويمنا السنوي المقبل».

ونطق الكلمات بطريقة دفعت الدماء الى خديها.

«وناقشنا موضوع استخدام العنصر الانثوي لدعاية منتوجاتنا، ولنذكر استخدام التقويم العالمي القديم المشهور حالياً في ارجاء اوروبا، رغم انه لم يوزع في انكلترا».

«هل تعني.. هل تعني ان ويتفورد تريد... ؟».

واجتاحها الرعب. فكرت بأمها، بزوج امها القاسي، المغرور بها والذي التقت به مرتين فقط بعد زواج امها.

همست دون ان تجرؤ على تصديق ما يجري حولها:

«ولكنك لن تنفذ الأمر؟».

«وما الذي يدفعك للظن بأني لن انفذه؟».

احنت رأسها وسقطت يداها الى جانبيها. ألم يجب الا تتوقع الرحمة من جوردان بلاك؟

«لاني قلت. اني حقير» قال ببرودة «ولكنها مسألة اعمال. بضاعة بعتها منذ اربع سنوات. لماذا لا افيد منها؟».

كان التهديد واضحاً تماماً. وكان ذلك تهديد جوردان الثاني.

٦ - هل الزمن علاج؟

استنفد الصدام بين جيردا وجوردان قواها، وتركها مرهقة كما لو كانت تعاني مرضاً حاداً. وجدت نفسها خارج غرفتها دون ان تذكر كيف وصلت هناك، وشعرت بحاجة ملحة للعودة الى فراشها لتسترخي وتتناول شراباً يبلل حلقها. الا انها لم تجد في نفسها القوة على العودة الى الطابق الارضي للحصول على الشراب. فركنت الى الحاجة الاخرى الى الوحدة.

فتحت باب الغرفة نصف المفتوح، لكنها تراجعت امام سوزان لاموند.

«اسرع مما توقعت، ظننت انك ستمضين فترة اطول مع جوردان».

وعادت سوزان الى الغرفة والى مكانها على سرير جيردا.

نظرت بعناد الى وجه جيردا الشاحب وقالت بهدوء:

«اريد ان اتحدث معك».

«فيما بعد رجاء».

ولم تستطع للحظة ايجاد عذر تبعد به نظرات الفتاة القاسية عن وجهها، ثم قالت:

«انني مصابة بصداع فظيع».

ولما قالت ذلك ادركت بانه كان صحيحاً وشعرت بالبرودة والمرض.

توجهت نحو حوض الماء الصغير وبللت وجهها بالماء البارد ثم جففته بالمنشفة دون ان تهتم بمكياجها.

«انك في حالة سيئة، هل سيغمى عليك؟».

«كلا».

اجابت جيردا بلامبالاة ثم جلست على المنضدة الصغيرة وتناولت

منديلها، لتمسح به ماكياجها وتحاشت في الوقت نفسه نظرات سوزان المتفحصة من خلال المرآة.

«ماذا تريدين؟».

«ان اعرف ما هي لعبتك بالضبط؟».

لعبة، وتنهدت جيردا. لا بد ان العراك مع سوزان سيكون آخر العلاقة لها. قالت بصوت انهكه التعب:

«قولي ما تريدينه رجاء ثم اتركيني. انا اشعر بانني مريضة».

«هل تعرفين ما اشعر به؟ لماذا عدت الى هنا؟».

«لانني دعيت للمجيء».

«ليس ذلك صحيحاً. جئت لان جوردان يريد انهاء علاقتي بستيوارت، او هو يعتقد بانك قادرة على ذلك. ليس باستطاعتك ذلك، واذا كنت عاقلة فلا تحاوليه ايضاً. لم تريدي ستيوارت منذ ثلاث سنوات ولا اعتقد بانك تريدينه الآن».

ثم نهضت عن الفراش وقالت بغضب:

«ابتعدي واتركينا وحدنا».

«اصغي الي. حاولي تصديقي. ما اريده هو سعادة ستيوارت ومستقبله».

«استطيع انا القيام بذلك لانني احبه».

«اعرف وانا ايضاً احبه برغم شكي في قدرتك على فهمي».

«افهم جيداً. انك تشبهين البقية. ان الجميع يرغب براحة ستيوارت وليس هذا ما يريده. انكم جميعاً عميان لا ترون ما اراه».

وكان لكلمات سوزان وقع الحقيقة، حقيقة لا يراها احد عداها، ثم اضافت بنعومة:

«ليس هناك شك ولا غموض فيما هو الأحسن لستيوارت، الحل الوحيد والأفضل هو ان يستطيع المشي على قدميه من جديد».

«نعم، لكن هذا لن يحدث ما دمت انت وجوردان وكل شخص آخر تحاولون جميعاً دفعه للمخاطرة بحياته».

«لن يموت ستيوارت. انه شاب قوي وشجاع».

«هذا ما يقوله الجميع».

وضعت نفسها في الفراش الكثر ثم قالت بقوة:

«الا تستطيعين الاحساس بخوفه؟ انه بحاجة الى التفهم والى شيء قوي ما فيه الكفاية ليتغلب على خوفه».

«اعتقد ان الرغبة في المشي ثانية كافية لتخليصه من خوفه».

وابتعدت جيردا عن المرآة واضعة يديها على عينيها.

«هل تعتقدين حقاً بانك ستنجحين حيث فشل الآخرون؟».

«نعم، لو تركني الناس اليوم بما اريده بطريقتي الخاصة».

تنهدت جيردا وقالت:

«اليس القرار خاصاً بستيوارت في الدرجة الأولى؟ لا اعتقد انه يستطيع اي منا اجباره. انه مثلاً ضد الفكرة واذا ما اثرت عليه...».

وصرخت سوزان بلا ارادة قائلة:

«تلك شيء آخر، لو انك لم تأتي لتتدخلي لاختلف الأمر تماماً».

«آه يا ربي! كيف ان قضائي عدة ايام في هذا البيت يدفعك للاحتفاظ بتغيير ستيوارت؟».

«ان السيدة بلاك تقضي عطلتها بعيداً، واقنعت ستيوارت بعدم اللعب معها والبقاء معي، وهكذا تتاح لنا فرصة البقاء شهراً كاملاً وحدنا، ولولا عودتك واثارتك للاضطراب لكنا متزوجين الآن».

«زواج؟ هل تظنين ان جوردان كان سيسمح بذلك؟».

«اعرف تماماً ما يفكر به جوردان وسانتصر عليه، اذا اتحدت انا وستيوارت كل شيء».

«نعم، لنفترض ذلك. ثم ماذا؟ كيف ستهتمين بستيوارت؟ اين ستعيشان؟ هل لديك فكرة عن العيش مع مقعد؟ انك مجنونة لمجرد التفكير بذلك».

ونظرت الفتاة الى جيردا بهدوء وقالت بلهجة واثقة:

«كلا لست مجنونة. لو انني اخبرتك التفاصيل لنقلت الخبر الى جوردان. سيكون كل شيء على ما يرام، لا تقلقي».

حدقت جيردا في وجهها بحرارة وقالت:

«جوردان هو آخر شخص ارغب في اخباره اي شيء، ولكن لا تخبريني اذا لم ترغبي بذلك».

«اريد اخبارك لانني اريد منك ان تفهمي. اريد من ستيوارت الزواج مني سراً. كلانا في سن الرشد ولن يستطيع احد منعنا. اعتقد ان ليون سيساعدنا عملياً من ناحية اخذ ستيوارت الى ايست بورن للاحتفال، ولكن اذا رفض فسأجد شخصاً آخر يقوم بذلك. ثم نعود بعد اجراء المراسيم ولن نخبر احداً».

«نعم، لكن المسألة ليست سهلة الى هذا الحد».

«لم اكمل حديثي بعد. كما انني ادرك صعوبة الحدث. سيكون زواجنا شرعياً الا ان الحادثة لم يؤثر على قدرة ستيوارت على الزواج، لذلك لن تكون امام جوردان فرصة نقض الزواج لأي سبب. لن يكون بامكانه عمل شيء، عدا ان يطلب منا مغادرة المنزل ولا اعتقد بأنه سيفعل ذلك، ولكن اذا لجأ الى هذا الحل فسنجد بالتأكيد حلاً ما. ان والدي غني جداً... كما انني سأعمل ليلاً ونهاراً من اجل ستيوارت. لن يقلقني ذلك اطلاقاً».

واحست جيردا بالاعجاب بسوزان رغم ارادتها، فمهما كانت اخطاء سوزان فهي لا تفتقد الشجاعة، وقد عنت كل كلمة نطقت بها.

تساءلت جيردا بنعومة:

«ثم ماذا؟».

«سيختار ستيوارت اجراء العملية».

«ربما لن يقبل اجراء العملية... هل فكرت بذلك الاحتمال؟».

«كلا الا تفهمين؟ اذا تزوجته وحملت منه بعد ذلك، سيقتنع ستيوارت بحبي له وسيدفعه حافز قوي للرغبة بالحياة من جديد وسيرغب في المشي لا ستمنحه الثقة بنفسه».

واتسعت عينا جيردا، هناك شيء رائع ومثير في حب واخلاص سوزان. فقالت:

«انك تحبينه كثيراً».

«بالطبع! احببته منذ ثلاث سنوات ولن ارغب بالنظر الى اي رجل آخر. فانا حاربت من اجله جوردان وعائلتي، عندما وآذيتهم جميعاً من اجله. كما هناك شيء آخر. هناك شيء يجمعني بستيوارت وسيربطنا الى الأبد، لحين موتنا. لا تستطيع التهرب منه ولا ارغب شخصياً بالتخلص

منه لذلك يجب ان نتزوج ونعيش سوية بقية حياتنا، مهما حدث».

واظلمت الدنيا في عيني جيردا، اذ نظرت دون ان ترى شيئاً بحثاً عن سبب يخفي ما عرفته منذ سنوات، سراً شاركت ستيوارت معرفته، ورغبت في الصمت اذ لم يعد كشف السر شيئاً، ومن الأفضل ابقاء الأوضاع على ما هي عليه حالياً.

بقيت سوزان واقفة واحست جيردا بانها تحاول اثارة اضطرابها من جديد:

«لذلك اتركينا ولا تحوميني ثانية. ستيوارت لا يحبك الآن. اعرف بأنه احبك ذات مرة، الا ان حبه لك ميت كما انك لا تحبينه».

تنهدت جيردا لأنه لم يعد امامها ما تقوله خاصة انها ترغب في كتمان ما تعرف، فخطة جوردان محكوم عليها بالفشل مسبقاً، ادركت ذلك منذ البداية وفشلت في اقناعه، ولكن هل تستطيع الآن؟

«واذا لم اتركه وحده فسأخبره بكل شيء».

«تخبرينه ماذا؟ ماذا ستخبرين جوردان؟».

«قلت انني سأخبر ستيوارت بما رأيته الليلة. انك قضيت بعض الوقت مع جوردان في الحديقة ثم تبعته بعد ذلك الى غرفته. لا عجب انه ابعد ديانا المسكينة عن المكان».

ونظرت سوزان الى جيردا باحتقار. ورأت شفتي جيردا تفترقان دهشة فهزت كتفيها استهانة.

«لا يعني كثيراً مع من يصل جوردان نفسه».

ثم توجهت نحو الباب وتوقفت هناك لحظة لتقول:

«لا تقلقي سأحل مشكلتي بنفسي».

ولم تجرؤ جيردا على النطق بصوت عال بل تمنت لها النجاح من اجلهما سوية ولم تفكر بما سيحدث لها بل اجلته لوقت آخر. وكل ما احست به في تلك اللحظة هو راحة غريبة لتخلصها من مسؤولية كبيرة. ولما لمحت سوزان الحقيقة احست بالخجل، لأنها ارتكبت خطأ جوردان نفسه في اطلاق حكم خاطىء عليها، او ربما سمحت لنفسها التأثر بحكمه. لم تكن سوزان مراهقة طائشة كما اعتقدت من قبل. ربما كانت في السابق لكنها ليست كذلك الآن بل تميز موقفها بالوضوح وكأنها ما تريده كان بسيطاً

ورغم قلة عمرها فهي اكثر نضجاً في رؤيتها لما ترغب.

نظرت الى الفتاة ذات البدلة الزاهية اللون والقلادة المصنوعة من خرز فأحست فجأة بتقدمها في العمر وبمساوئها.

ترددت سوزان مداعبة قلادتها بحركات لا ارادية كأنها لم تعرف كيف تنهي اللقاء. وضعت يدها على مقبض الباب وقالت:

«حسناً سأذهب الآن».

«انتظري سوزان، هل ترغبين بعمل شيء من اجلي؟».

«يعتمد ذلك على طبيعة ما تريدينه».

«اريد ان اترك المكان في وقت مبكر غداً صباحاً لكنني لا اعرف اوقات سير القطارات، او كيف اصل للمحطة من هنا».

استرخت سوزان واجابت:

«هذا سهل ، سأخذك بنفسي».

وجاء الحل اسهل مما حلمت به جيردا. لقد ادركت سوزان مصدر قلق واضطراب جيردا وعلاقتها بوجود جوردان بلاك. وجاءت سوزان بصينية وضعت عليها الشاي والخبز المحمص اضافة الى بيضة مسلوقة، في الساعة السابعة صباحاً وساعدت جيردا على التحرك بسرعة، واطاعت جيردا سوزان اذ لم ترغب برؤية جوردان بلاك قبل هربها، وفي اقل من عشرين دقيقة كانت جيردا في المحطة وبقيت سوزان معها حتى مغادرة القطار.

وفي لحظات الوداع امسكت جيردا يد سوزان ثم قبلتها قائلة:

«انا متأكدة من حصولك على ما ترغبين وآمل ان يتم قريباً. اني مسرورة لاخبارك اياي. وشكراً».

«عفواً».

قالت سوزان وبدا كأنها عادت الى موقفها المتحفظ من جيردا.

«سأخبر جوردان بمغادرتك».

اومأت جيردا برأسها وجلست على مقعدها. وواصلت الاحساس بالارتياح لأن موضوع ستيوارت ومستقبله انتهى بالنسبة اليها حتى قبل ان تفهم ما كان يدور حولها. الا ان ظل جوردان بقي مخيماً عليها واشعرها بالعجز لان شيئاً لم يحل حتى الآن، الا انها تخلصت من الاحساس بالمسؤولية، لأنها فقدت الرغبة في السباحة ضد مد اليأس.

وزادت سرعة القطار وانعكست الشمس الوردية الشاحبة على زجاج النافذة، وكان لصوت القطار صدى يشابه رتابة أسئلة لا تعرف أجوبتها، العقد، رد فعل جوردان لتحالفها مع سوزان، لقاؤها الغريب مع جوردان في الليلة الماضية. ودارت مرات ومرات في الدائرة نفسها متخلصة تدريجياً من آلامها ومركزة على مصدرها فقط، الرجل القاسي مصدر عذابها.

طوال الليلة الماضية وخلال ساعات أرقها الطويلة عاودت الفكرة عدة مرات بما حدث في غرفة جوردان محاولة اقناع نفسها بأنه كان كابوساً فظيعاً. اذ لا يمكن ان يكون قاسياً الى حد عرض تلك الصور التي نجحت في نسيانها خلال السنوات الأربع الأخيرة، ثم ان هناك موضوع استخدامها لتشويه سمعتها واثارة فضيحة كبيرة لمجرد ارضاء رغبته في الانتقام.

واخيراً العقد! هوارد! ستيوارت وسوزان . . . وتلاشى الجميع من خيالها عند تذكيرها بالعقد ولكن هل يهمها الأمر الى هذا الحد؟ هل هناك شيء اقسى من كلمات جوردان الأخيرة لها؟ مسألة اتصال. بضاعة. شيء يجب استخدامه.

رجل بلا رحمة. الا انها تحبه!

كان اليومان التاليان متعبين الى حد لم تصدقه. لقد توقعت في كل لحظة تلقي مكالمة هاتفية غاضبة من جوردان بلاك. ونظر اليها ميرك متفحصاً عند دخولها المكتب وقال:

«انك تبدين في حالة سيئة. هل انت بخير؟».

وحك رأسه قبل ان يقترح:

«لم لا تأخذين اليوم اجازة لك الرتابة؟ اذ ليس هناك الكثير لنعمله بدون وجود هوارد كما تعلمين».

رفضت جيرنا الاقتراح مدركة وجوب استمرار حياتها اليومية بشكلها العادي. كما لم ترغب في البقاء وحدها في الشقة مستعيدة، طوال الوقت، ذكرياتها المريرة.

«اعتقد انني سأرتب محتويات الخزانة في مكتب هوارد، اذ لم افعل ذلك منذ زمن طويل».

واشتغلت طوال الصباح بتلك المهمة رغم انها لم تستمتع بالعمل اذ كان حضور هوارد قوياً ومؤثراً وافتقدت وجوده وحيويته في كل مكان.

وجاء ميرك ليرى ما فعلت مرة ثم بدا وكأنه احس بفراغ المكتب فعاد ثانية طالباً منها شيئاً مستعجلاً:

«اتركي ذلك. اريد الكتابة لجوردان».

وأنت فجأة لو انها لم ترفض عرضه ترك العمل اليوم، الا انها تبعته الى مكتبه الصغير.

«انني مشمئز من كل هذا التلكؤ، لم نكن نلعب هكذا كالاطفال في الماضي. من هو بلاك هذا ليتصرف بهذه الطريقة؟ هل هو الشخص الوحيد على الأرض ام ماذا؟».

واملى عليها الرسالة ثم طبعتها. كان اسلوب ميرك فجاً ومباشراً وتساءلت عن وقع الرسالة على جوردان عند استلامه اياها. كانت مجهوداً عقيماً وكانت واثقة من النتيجة، وللحظة واحدة امتلكها حافز بتغيير مضمون الرسالة الى:

«السيد العزيز،

ربما سيؤثر على اتخاذك القرار معرفتك باننا طردنا السيدة ماستون نتيجة اهمالها وسوء تصرفها اثناء المحادثات . . .».

كلا، ربما ستضيف «سوء معاملتها» بدلاً من «اهمالها».

سعل ميرك وصارعت رغبتها الطارئة في تغيير الرسالة. اعادت قراءة الرسالة ثم وقعها ميرك بدون قراءتها.

«لننتظر جواب الرسالة، هذا اذا تلقينا اي جواب».

وبدا كأن توقعاته صحيحة، اذ مضى اسبوع دون تلقي اي جواب من ويتفورد. كما لم تسمع جيرنا اي شيء من ستيوارت، اذ توقف عن الاتصال هاتفياً بها. ولم يعد امامها غير الانتظار كمحاولة للنسيان، فالزمن افضل علاج لجرحها. لكن القدر لم يمنحها تلك الفرصة . . .

وكان الحدث المفرح الوحيد ذلك الاسبوع هو تحسن صحة هوارد وانتهاء فترة بقائه في المستشفى. ورفع يده ليرحب بها حين دخلت غرفته وابتسم بفرح.

واخبرها بعد جلوسها على الكرسي المجاور لسريره:

«سأغادر المستشفى الاسبوع المقبل. ربما يوم الاثنين، وسيتم نقلي غداً الى دار النقاهة».

«انني مسرورة جداً».

وهكذا غبت لوقعاتهم بهاتي عدة اسابيع قبل استعادتي صحتي. كما اني قضيت فترة طويلة اجاهدهم».

ثم بدأ يكرر كل علاقاته معهم بالتفصيل مما دفع جيردا الى الاعتراض:

«انك تثير نفسك. اهدأ ولا تفسد الأمور».

«توقفي عن ابداء النصائح لي انت أيضاً».

واسترخى من جديد متنهداً بصوت عال، مراقباً اياها بمودة وحب. واحست بانه يحاول استعادة بعض ما حدث قبل مرضه، حالة تمر بها المريض عادة عند تحسن صحته. كان ذهنه يمر بإعادة شحن تساعده على بدء الحياة مرة جديدة وبقيت صامتة الى ان ابتسم:

«هل كنت احدق في وجهك؟».

«كلا، بل بدوت وكأنك تحلم».

«صحيح؟ كنت افكر بانك تشبهين امك. هل يزعجك قولي هذا؟ لا اذكر اني قلت الشيء نفسه من قبل. واعني حين كانت في عمرك، كانت جميلة جداً كما تعلمين».

«ولا زالت جميلة».

اجابت بهدوء.

«هل هي سعيدة؟».

«اعتقد ذلك».

قالت جيردا بحذر.

لم اكن اتصور انها ستعثر في الخارج مع رجل مختص بالتاريخ، اذ كانت فتاة اجتماعية، مرحة تهوى ارتياد الاماكن، والحفلات، ربما غيرها مرضها».

«كان ذلك شيئاً سآسف عليه طوال حياتي. اذ كنت في اوستراليا في وقت احتاجتني فيه امك. ولن اغفر لك عدم اخباري».

«كيف كان في امكاني اخبارك؟ كنت بعيداً جداً ولم اود ارهاقك بطلباتنا».

«كان في مستطاعي العودة فوراً».

«من اوستراليا؟ الم تعلم ما فيه الكفاية من اجل والدي؟ اعرف انك

كنت على استعداد للمساعدة. بل كثيراً ما تمنيت وجودك الى جانبنا، ومع ذلك لم تحركني بشيء».

اطرقت رأسها وصمتت للحظات وغرق كلاهما في افكاره الخاصة. ثم تحرك ونظر الى وجهها الشاحب.

«اردت الزواج منها، اكثر من اي امرأة عرفتها. اولاً حين كنا مراهقين وفاز والدك في تلك الجولة. ثانية حين اصبحت ارملة واردت الاهتمام بكما سوية، الا انها لم توافق ابداً».

وعاد الى صمته وراقبته، مفكرة بانه كان سيكون والدها، الا ان القدر اتخذ وجهة اخرى. لم يتزوج ابداً وليس في امكانه الزواج الآن. ولم تستطع مقاومة تأثرها لمراقبة كآبة رجل احل ورعى امرأة رغم ادراكه بانها لن تكون له. وقارنت الصورة في مخيلتها بوضعها الحالي فهي تحب رجلاً يبذل اقصى جهده لاخفاق الاذى بها . . .

وعادت الى واقعها حين سمعت صوت دونيل، ذاكراً اسم بليز:

«انك في حاجة لمن يرعاك. انك لست مؤهلة للعمل كامرأة اعمال، الم تلتق بشخص يحل محل بليز».

«كلا، لا احد اطلاقاً».

ليس لدي الرغبة بالزواج من جديد».

«يبدو وكأنك عانيت من زواج تعس. لكنك كنت سعيدة مع بليز. اليس كذلك؟».

«نعم».

والتقت نظراته بسرعة:

«آسف لتدخلي، اذ نسيت اني لا املك حق التدخل في شؤونك الخاصة، لكنني اريد منك اللجوء الي كلما احتجت شيئاً».

«ولكنني سأفعل ذلك بالتأكيد. الم الجأ اليك بعد وفاة بليز وهيأت لي مكاناً في جيرتنغوردز؟ بعد ان نسيت كيف استخدم الآلة الطابعة والاختزال وحتى كيفية مسك القلم؟ انك من يستحق القلق الآن. لذلك فكر بنفسك فقط وارجو ان تراك في بيتك باسرع وقت».

«سأعود في نهاية الشهر وهذا وعد مني».

واحست بالارتياح لتأكيده، ولسماعها صوت جرس المغادرة. اذ كان

عطف هوارد مؤقتاً ومذكرة دائماً بفشلها في مهمتها.

وآه.

وتذكر شيئاً اذ كانت على وشك الخروج.

وهناك عدة اشياء احتاجها قبل يوم الاثنين. كتبت قائمة بذلك. ارجو ان تطلبي من السيدة ساندرز جلبها، اذ قد لا تزوريني قبل الاثنين.

وضعت جيردا القائمة في حقيبتها بعد ان وعدته بتنفيذ ما اراد وبانها ستزوره يوم الأحد قبل نقله الى بيت النقاهة في الريف، ثم قررت التوجه لرؤية السيدة ساندرز وابلاغها طلباته.

رحبت السيدة ساندرز بزيارتها والحت عليها للبقاء وتناول فنجان قهوة معها واذ استطاعت جيردا التخلص من الحاحها والعودة الى شقتها كان النهار على وشك الانقضاء. فأعدت ملابسها للصباح التالي، وما ستتناوله من افطار، غيرت ثيابها وصففت شعرها ونظفت وجهها من المكياج وبذلت اقصى جهدها لابعاد وجه جيوفاني عن ذاكرتها.

لأول مرة منذ ستة اشهر تأخرت جيردا في النهوض صباحاً ووصلت الى مكان عملها متأخرة ما يقارب الساعة. اسرعت قلقة لأنها كانت حريصة على الوصول في الوقت المطلوب، ولم تحاول استغلال علاقتها الخاصة برئيسها. وما زاد في تأخيرها ازدحام المرور وهبوب ريح قوية ذات اتجاه شمالي.

ولانشغالها بترتيب شعرها والسير بسرعة داخل البناية لم تلحظ اولاً الهدوء الغريب المحيط بها. ثم التقطت سماع صوت الآلات الطابعة من الغرفة الرئيسية وكذلك قرقعة صينيات الشاي، في فترة الراحة من الصباحية. واذ اسرعت لخلع معطفها استطاعت القاء نظرة سريعة خلال الباب الزجاجي المؤدي الى مكتب الشؤون المالية. تجمعت الفتيات في زاوية واحدة هامسات بشيء ما وظهر القلق واضحاً على وجوه الجميع. هناك السيد جيمسون ومدير المبيعات الجديد. لا بد ان هناك خطأ ما في الحسابات، فكرت جيردا اذ فتحت باب مكتب هوارد لتلقي نظرة سريعة قبل توجهها الى مكتب ميرك.

سمعت اصواتاً عديدة في الغرفة وقبل ان تطرق الباب طالبة الاذن بالدخول، غادرت الغرفة امرأة متوسطة العمر ذات علاقة جيدة بجيردا،

تدعى الزابيث سميث.

وبدا على وجهها تعبير القلق ذاته الذي لمحته جيردا على وجوه العاملين في قسم الحسابات المالية.

«ما كان على دخول الغرفة».

«لماذا؟ ماذا حدث؟».

«لست متأكدة بعد. لا بد انه امر مهم. الا ان احداً لم يخبرنا بما حدث حتى الآن، وكل ما طلبوه هو عدم مقاطعتهم في اجتماعهم».

«من هناك؟».

«السيد تيلور والسيد ميرك واحد المدراء. من الأفضل ان نذهب لتناول الشاي الآن».

وصلت المكان منذ وهلة متأخرة بذلك اصول العمل.

وعضت جيردا شفتيها محاولة تخمين ما حدث، ثم التقم وجهها فجأة:

«هل لذلك علاقة بالسيد دوريلي. . .؟».

«كلا. . .».

فاحست جيردا بالارتياح:

«من الأفضل ان اهتم بالبريد».

«لا تستطيعين ذلك، لأنه موجود في المكتب. وقد خطرت لي الفكرة ذاتها قبلك».

من الغريب ان مجرد الاحساس بقرب كارثة ما يمكن ان يشلل حياة مكتب بكامله. ورافقت جيردا الزابيث الى غرفتها الصغيرة المرفقة بالمكتب الرئيسي، حيث شربت معها قهوة الصباح. وخيم الصمت عليهما تماماً للوصول الى استنتاجات خاطئة حول وضع الشركة.

سمعتا اخيراً خطوات شخص غادر المكتب وشاهدتا من خلال النافذة، السيد تيلور والمدير الآخر، يدخلان سيارتيهما. استدارت جيردا وقالت لالزابيث:

«لا استطيع تحمل الأمر اكثر. سأذهب لاتفحص ماهية ما يجري».

«لا تنسي العودة لاخباري».

قالت الزابيث بلهجة مستسلمة عائدة للجلوس خلف مكتبها.

ترددت لحظة حين سمعت رنين الهاتف، لكن الزابيث اومأت برأسها

نحوها.

وجدت ميرك غارقاً في كآبته، ونظر اليها وبقيت نظراته ساهمة:

«وماذا حدث؟».

«قرر مدير تيلور الانسحاب من المؤسسة».

«وماذا؟ الانسحاب من جيرنغفورودز؟».

وجمدت جيردا في مكانها.

«نعم بعد عمله طوال حياته في المؤسسة. سمعنا الخبر هذا الصباح».

«لكنه لا يستطيع انه يملك ثلث الأسهم. . .».

«انسحب وانتهى الأمر».

«لا استطيع تصديق الحدث، ما الذي ستفعله؟».

«دعوت مجلس الادارة الى اجتماع طارىء، الا انه لن يتم قبل الاثنين ولا نستطيع القيام قبل ذلك. اريد منك الاتصال بهم مباشرة شخصياً. ارسلي برقيات لهم اذا تطلب الأمر، ويجب ان يكونوا موجودين جميعاً يوم الاثنين. واخيراً ألقي نظرة على هذه».

ونظر خلال الأوراق الموضوعة على المكتب ثم سحب ورقة وسلمها اياها. كانت رسالة رسمية تحمل ختم وينكفوردز. واحست بالتصلب والبرودة، اذ شعرت بوقوفها عند حالة طارئة جديدة.

«شكراً على رسالتكم المؤرخة في الخامس عشر من الشهر الحالي. وتبعاً لاستقصائي نتائج بعض التحقيقات وحاجتي لقضاء وقت اطول في مداولتها، أسف اذ اخبركم بتأجيل قرار بصدد منحكم امتياز العقد. واعتذر لأي اخلال قد ينتج عن التأخير واؤكد لكم في الوقت نفسه ان التأخير لا يعكس عدم رضانا عن نتاج مؤسستكم، ارجو تبليغ افضل امنياتي للسيد موريل لتحسن صحته.

المخلص. . .

كان التوقيع واضحاً. جيوردان بلاك. لا بد انه يستخدم حبراً اسود كاسمه، فكرت جيردا، واضعة الرسالة جانباً بغضب. ان لوقع الفشل لنيابه صدى الاحتقار للمؤسسة. قال ميرك:

«انها القشة الأخيرة، اليس كذلك؟».

هزت جيردا رأسها بدون ان تجرؤ على الحديث. نهض ميرك عن مقعده

واتجه نحو النافذة، محدقاً في الطريق العام ثم قال ببطء:

«ترى أليس من المحتمل جلب هوارد الى هنا، صبيحة الاثنين قبل نقله الى المصح؟ اعرف انه سيرغب بالمجيء، ويجب ان يأتي. حين سيسمع عن تيلور وحين يعلم بخبر هذه الرسالة. . .».

«هل زرته الليلة الماضية؟ ماذا تظنين؟».

هزت برأسها رافضة الاقتراح.

«كلا، انه مريض ويجب الا نخبره، يجب الا نخبره».

«ولكن، يجب ان نطلعه على ما حدث، وسيغضب اذا لم نفعل ذلك، انك لا تعرفين ما تتحدثين عنه».

«نعم، لكنها ستكون صدمة كبيرة له. مصيبة واحدة تكفي ولا يجب اعلامه بالكارثتين معاً. الا تفهم؟ قد ينهي ذلك لحسه الصحي. خاصة ان الاطباء نصحوا بعدم ازعاجه. ولا بد ان الصدمة ستنهي حياته».

«واعرف انه بحاجة للراحة، ولكن ما الذي نستطيع عمله غير ذلك؟».

ومرر اصابعه في شعره قبل ان يضيف:

«او ما الذي تقترحين عمله؟».

ولم تؤلها لحجته الساخرة، اذ نالت في الأيام الماضية ما يكفيها من الألم. فقالت بعجز:

«لا ادري. الهي لو انني اعرف. الا تستطيع الانتظار حتى انتهاء الاجتماع؟ لنر ماذا سيحدث ونخبره بالنتيجة. . .».

«وماذا عن الرسالة؟».

وقلب ميرك بعض الأوراق على مكتبه ثم حدق في وجهها. قائلاً:

«كلا، لا فائدة من ذلك يا جيردا. اعرف بانك تحبينه لكنه وقت غير ملائم لاظهار العواطف. انها مسألة مهمة ويجب اطلاعه على التفاصيل».

بقيت جيردا صامتة، مدركة في داخلها بعدم وجود جواب آخر، ومع ذلك بقي هناك حافز إطارها من خطورة اطلاع هوارد على المشاكل.

قال ميرك: «سأذهب لزيارته الليلة، وننتهي من المشكلة هل ترغبين المجيء معي؟».

«كلا. . . لدي فكرة اخرى. . امنحني فرصة يوم واحد. . . حتى الغد».

«وماذا ستفعلين بحق الاله؟ ليس بمقدورك منع ما سيحدث».

«نعم استطيع. سأذهب للقاء جوردان بلاك. لا استطيع الحيلولة دون نقل المدير عن المؤسسة ولكنني قد استطيع اقناع جوردان بلاك بتغيير رأيه».

دهش ميرك واشار الى الرسالة.

«هل تدل لهجة الرسالة على احتمال تغيير رأيه؟».

«كلا. لكنني سأحاول. يجب ان احاول».

٧ـ ماذا في اللاوعي؟

اذا اتخذت جيردا قرارها لم يعد للكبرياء والعناد اي تأثير معاكس. وسدّ حاجز غريب في لا وعي جيردا كل شيء عدا اللحظات التي استدعت اتخاذها القرار، ولم تستطع اضفاء اي واجهة معقولة على قرارها الحاسم. واذ قررت اخيراً مغادرة غرفة نومها، كانت الغرفة ساحة لحركة عاصفتها مع نفسها لاختيار ما ستلبسه وتنزع الثياب الملائم والوشاح. . .

ومع ذلك غادرت الغرفة دون ان تدرك ما فعلته او كيف بدت في النهاية. كما لم تعلم الى اين ستتجه او اذا كانت ستعثر على جوردان بلاك هناك. كانت لديها فكرة غامضة عن شقته في المدينة. . . وعثرت على العنوان في دليل الهاتف، من الافضل لو استأجرت سيارة اذا لم تستطع العثور على المكان وحدها، كما انها لن تجرؤ على الاتصال به هاتفيا. . . وما الذي ستقوله؟ ورغم وصولها وتوقف سيارة الاجرة امام الطريق الضيق المؤدي الى مدخل البناية، لم تستطع اعداد ما ستقوله. اشرقت الشمس المتأخرة على زجاج الابنية العالية المشرفة على المبنى الذي يدل بوضوح على قدم المنطقة ومحافظتها على بعض ملامحها الاصيلة. كانت هناك مصابيح قديمة تنير خارج المنزل، كذلك صناديق النباتات والزهور الجميلة وتساءلت جيردا فيما لو كانت مخطئة في فكرتها عن شخصية جوردان بلاك، اذ لا بد انه يعيش في شقة تقع اعلى بناية شاهقة، وليس في ذلك المنزل المواجه لها في نهاية الطريق. كان هناك لوحة صغيرة تحمل اسمه وجرس كما دفعها للتردد من جديد. لن يكون هناك. اليوم هو الجمعة، لا بد انه توجه الى طريق ريفي لقضاء العطلة.

سارت ببطء حول زاوية المنزل ولمحت السيارة الخضراء في الجانب الآخر، وقفت هناك لحظة الرغبات ثم سمعت فجأة صوت جوردان بلاك:
«الباب مفتوح».
دهشت لرؤيته ينظر اليها من خلال النافذة، وقال:
«افترض انك كنت تتجولين في المنطقة باحثة عني».
وبدون ان تجيب توجهت نحو الباب، فتحته كما قال بدفعة صغيرة، ووجدت نفسها في صالة صغيرة ذات سقف منخفض، وباب مسدود يواجهها وسلّم ضيق في الجهة اليمنى. ترددت وبدأت صعود السلم.
كانت هناك مطبوعات يابانية قديمة بارتفاع كتفيها لكنها لم تستطع رؤيتها، وادّى بها السلم الى غرفة جلوس فسيحة، ووجدته كما كان واقفاً قرب النافذة.
«تعالي الى. ما لم تقرري الجلوس على السلم والتحدث اليّ من هناك».
تحركت نحو الطرف البعيد من الغرفة وجلست على كرسي جلدي ثم قالت:
«اغلقت الباب».
«يا له من امر خطير».
وتحرك اخيراً من مكانه:
«ماذا تريدين ان تشربي؟».
«لا شيء، شكراً».
«اجلسي، هل تريدين سيجارة؟».
«كلا، شكراً. هل كنت على وشك الخروج؟».
«كلا، انا ابقى احياناً في المنزل».
جلس على احد المقاعد ولم يبد عليه الاستغراب لرؤيتها تبحث عنه. ثم نظر اليها فترة طويلة قبل ان يبتسم قائلاً:
«حسناً، انها زيارة غير متوقعة».
انتظر صامتاً دون ان يحاول تسهيل الامر عليها فنظرت حولها باعجاب الى الاثاث الانيق كأنها تبحث عن ملهم يساعدها لبدء الحديث. راقبها بكسل ضاغطاً باصبعه على شفته ثم متبعاً تفحصها للغرفة. وبقي واقفاً:
«ولكن بالطبع انك تودين مرافقتي في جولة سريعة داخل المنزل. تعالي،

سأريك التفاصيل. سنذهب الى الطابق الارضي اولاً. في الحقيقة لم اشرف على تجديد البناء بنفسي والا لفسحت بالحديقة الصغيرة... ولا اكره استخدام المطبخ لتناول الطعام، حولت هذه الغرفة الى غرفة للسفرة. سأقوم ذات يوم بتغيير اخشاب المطبخ، انه فسيح وجميل الا ان ديكوره يضفي صبغة كاذبة على حقيقة المكان».
وقف الى جانب الثلاجة، بينما القت هي نظرة سريعة على محتويات المطبخ الثمانية لصورة المطت من «كاتالوغ» حديث. ثم قادها عبر غرفة الطعام الصغيرة الى الطابق العلوي مع تعليقه الدائم على كل مكان وعن رغبته في خلط القديم بالحديث، الى ان توقف فجأة قرب الحمام مواجها اياها:
«انك تعلمين جيداً بانك لم تصغي لأي شيء ذكرته. لماذا جئت؟».
جلبت نفساً عميقاً:
«جئت لاسألك النظر ثانية في قرارك».
«اي قرار؟».
«انت تعلم اي قرار... لماذا... رسالتك اليوم».
«آه، انها اذن زيارة عمل».
«كلا، ليست زيارة عمل. كانت رسالتك أمس...».
وكبحت جماح غضبها وامسكت عن نطق الكلمات العاطفية محاولة المحافظة على هدوئها.
«جئت لاسألك عن الاسباب المنطقية ضد تجديد العقد وماذا تعني بالضبط حين ذكرت التحقيقات والابحاث».
«اظن انك تعرفين ما اعنيه».
«لو كنت اعلم لما سألتك».
«حسناً جداً. افكر بشراء جيرنغفوردز».
«وماذا تفكر؟».
«لم لا؟ ستكون ملحقاً جيداً».
«ولكن جيرنغفوردز غير معروضة للبيع. لا اعتقد ان هوارد سيسمح بذلك. كما انه يملك الجزء الاكبر من الاسهم، وليس من المعقول...».
«اعتقد انه معقول. اعرف ما قرره المدير تايلور. كما اعرف اشياء

اخرى لتؤكد الاحتمال واظن ان دوريل نفسه لن يمانع بعد ان يشفى».

سألت بحدة:

«نعم سيمانع. متى بدأت التفكير بالشراء؟».

«منذ فترة، منذ عدة اسابيع».

وجلس على الكنبة القريبة محدقاً في وجهها.

«كل ذلك الوقت؟ ولم تخبرني ابداً؟».

«لم يكن الوقت ملائماً».

«لا استطيع تصديق الامر».

شعرت باهتزاز موقفها وبالبرودة ولم تعد قادرة على فهم ما يجري حولها. فجأة تفجرت عواطفها ولم يعد لزمام العقل اي تحكم عليها:

«هل تفعل هذا بسببي وبسبب ستيوارت وسوزان؟».

«انا رجل اعمال وسلوكي يتطابق مع مصلحتي التجارية».

ثم اضاف موضحاً:

«ان جيرنغفوردز على وشك الانهيار، وبمعدل سريع. وفي استطاعتي اسناد الشركة مادياً ووضعها كملحق مفيد لجيرنغفوردز».

«هل هذا هو كل ما تفكر به؟ تجارة وربح. ولا تفكر بالناس ولا مشاعرهم».

هز كتفيه استهانة فأحست بالفشل يلحق بها وصمتت لحظات طويلة ثم تنهدت ونهضت من مكانها. كانت حمقاء لمجرد التفكير انها تستطيع تغيير رأيه بزيارتها الفاضحة، غبية لانها ظنت انها قد تؤثر عليه لتثنيه قليلاً. كان قاسياً ومتصلباً في موقفه وكانت هي آخر شخص يمكنه التأثير عليه.

ونظراته الباردة على سترتها القطنية واذ كانت على وشك مد ذراعها ترددت، التقت عيناها بعينيه، وسقطت ذراعاها الى جانبيها:

«جوردان. قل لي رجاء. كن صادقاً معي. هل هذا كله علاقة بي؟ لأني اعمل لجيرنغفوردز ولصداقتي الشخصية مع دوريل؟ اعرف طبيعة مشاعرك نحوي ونحو ستيوارت وكل شيء، لكن ارجو ان تخبرني. هل تسمح لمشاعرك الشخصية بالتأثير على قراراتك التجارية؟».

«ولنفترض ان جوابي نعم، فماذا تقولين؟».

«وحاولت اقناع نفسي بخطأ افكاري، الا انني لم استطع».

وهزت رأسها بيأس:

«لا اعرف هذا القول باستثناء ان قرارك سيحطم دوريل وسيؤثر على حياة العديدين. كل ذلك لأني...».

وارتجف فمها وتوقفت عن تفسيرها في مواجهة نظراته. تناولت السترة بهدوء دون ان تسمح له برؤية انهمار دموعها.

«يجب ان اذهب الآن... انا... انا».

«جيردا».

وادهشها التغير في صوته الا انها لم تلتفت. وخطا نحوها ثم توقف:

«انني لا اتهمك يا جيردا. هذا الولاء العميق لدوريل والشركة. انه شيء غير طبيعي بالنسبة اليك».

«غير طبيعي لامرأة.. اتعني ذلك؟».

«لامرأة اكتشفت انها بلا اخلاص شخصي. وحتى الآن... انسي ذلك، وبحق السماء لا تنظري اليّ بهذه الطريقة مثل شهيدة كما لو كنت انا الملام».

«الست الملام؟».

تساءلت بمرارة.

«انت توجهين الاتهام؟ يا له من سلوك نموذجي لامرأة».

واستعاد وجهه صلابته قبل ان يكمل جملته:

«في امكان المرأة فقط اتخاذ موقف يستند الى كذبة وتبني الدفاع عنه حتى النهاية».

«الدفاع؟ كيف استطيع الدفاع؟ اذ تحمل انت كافة الاسلحة بين يديك. كيف استطيع المحاربة اذ ترفض انت الاصغاء الى الحقيقة؟ منذ البداية وانت تبني اسوأ فكرة عني، لمجرد ان لي علاقات باخيك، ثم حاولت ابتزازي لانها علاقته بفتاة احبها فعلاً وتخيبها لمجرد كراهيتك لها. اتهمتني بعدم الاخلاص حكمت عليّ وادنتني دون معرفة الحقائق واحتقرتني لذلك. آه، نعم». صرخت اذ رأته يحاول الانكار «لم انس بعد كيف حاولت اغوائي منذ ثلاث سنوات لترى بنفسك اذ كنت مخلصة لاخيك العزيز. واخبرني بذلك بنفسه، وظننا الامر مضحكاً حينئذ لكنني لن اسامحك أبداً. حسناً: اترعني وعاقبني اذا اردت ولكن لا تدع رجلاً آخر

يعاني، رجلاً يستحق افضل حياة ممكنة».

«هل يهمك الى هذا الحد؟».

«نعم يهمني».

وارتجفت محاولة التمسك بشيء يعيد اليها هدوءها وسيطرتها على نفسها:

«لا تفعل هذا بسببي، لأن سلوكك قاسٍ وغير عادل. ولا استطيع تحمله اكثر. انا . . .».

«هل توجهين إليّ اتهامك الآن. انك . . . آه، لا تبكي رجاء: لماذا تلجأ النساء دائماً . . .».

هزت رأسها ومدت يدها لتمسك حقيبتها محاولة تحاشي نظراته.

وحاولت في الوقت نفسه، ارتداء سترتها فلم تستطع الرؤية بسبب دموعها. اعاق سيرها ووقف امامها.

«لا تستطيعين المغادرة بهذا الشكل».

«غير مهم. عرفت بانك لن تسمح . . اني . . .».

«جيرداً، لا تذهبي . . .».

«لا يهمني ما سيحدث، دعني اذهب».

«كلا».

بقي واقفاً في طريقها.

«جيرداً، لا استطيع . . .».

وامسك بكتفيها بقوة كما لو انه سيساعدها على استعادة هدوئها.

ووقعت سترتها على الارض فانحنت لالتقاطها فكانت النتيجة اصطدامها به، وحاول ان يساعدها على ارتداء السترة وتحول بالتها الا انه توقف فجأة واحاطها بذراعيه من جديد.

«اهدأي. انك مهتاجة الاعصاب».

تنهدت فقال:

«من الافضل لك الجلوس قليلاً».

«كلا».

استدارت برأسها بشكل لا ارادي:

«لا اريده».

«لا تتكلمي».

كانت يداه قاسيتين وضغط رأسها على كتفه:

«قلت ما فيه الكفاية».

ارتجف كتفاها:

«كلا، لم . . .».

«اصمتي».

كان صوته لطيفاً وحاسماً في الوقت نفسه وواصل الامساك بها، رغم محاولتها اليائسة للتخلّص منه والابتعاد بأي وسيلة عنه. قال بعد لحظات:

«اظن ان هوارد ارسلك».

«كلا، انه لا يعلم بمجيئي ولا اريده ان يعرفه».

بقي صامتاً وشدّ شعرها بيديه، مهدئاً اياها مثل طفل يبكي ويلجأ الى صدر من هو اكبر منه للحماية. ألا ان حنانه وعطفه عليها دفعاها الى بكاء اشدّ خاصة بعد ادراكها لضعفها حياله.

تحركت فاستجاب وترك لها حرية الابتعاد عنه.

«هل تشعرين بالتحسن؟».

اومأت برأسها ايجاباً، دون النظر اليه، وقال بصوت غريب، متقطع:

«جيرداً، حتى لو انني لبّيت ما تريدين: منح العقد لتدويل ونسيان تحفظي بشأن جيرنغفوردز، هل تعتقدين ان ذلك سيحلّ كلّ شيء؟».

«وهل؟ بالطبع».

همست بصوت مبحوح.

«هل انت متأكدة؟».

«نعم . . . ولكن ماذا تعني؟».

«اظن انك تعرفين. جيرداً انظري اليّ . . .».

وشكّت بقدرتها على النظر اليه دون ان تفضح نفسها، ففقد صبره:

«لماذا لا تواجهين الحقيقة؟ لماذا تحاربين المحتوم؟».

«لانه ليس محتوماً اذ لست مجبراً على شراء جيرنغفوردز».

«لست اتحدث عن ذلك».

ووضع اصبعه تحت حنكها مجبراً اياها على النظر اليه. وتقلّص وجهه اذ رأى وجهها المغطى بالدموع. اغلقت عينيها فقال:

«لا يغيّر ذلك شيئاً كما تعلمين».

«ماذا؟».

«ماكياجك يسيل على خديك. ذلك لا يعني شيئاً اطلاقاً».

سكتت فالتفت نحوها. وزادت حركة يديه عنفاً لتدل على رغبته فيها. واحست جيردا بالتحذير ينطلق من داخلها، ينبهها الى خطورة موقفها.

وكأنه احسّ بضعفها فبدأ يمسد شعرها بحنان اكبر حتى دفعها للاحساس بان لا مفرّ امامها من ذراعيه غير اللجوء اليه.

«اردت ان افعل هذا منذ سنوات».

همس في اذنيها بصوت مرتعش. واستجاب قلبها لدقات قلبه ولم ترغب بالتحرك من مكانها وتحركت شفتاها لتلفظ اسمه مرّات عديدة كأنها تحاول اخباره عن شوقها الطويل اليه.

ولما تحرك اخيراً قال:

«جيردا ابقي معي الليلة».

وجمدت في مكانها مستعيدة برودها:

«أبقى؟ هل تعني؟».

«نعم. اريدك ان تبقي معي. اردتك دائماً ان تفعل هذا».

«كلا. لا استطيع. لا تطلب مني ذلك».

«لم لا؟ انك تريدينني بمقدار ما اريدك».

«كلا».

وتحررت من ذراعيه وابتعدت عنه:

«ليس ذلك صحيحاً... انك...».

«لم تحسّ بذلك اذن؟».

«لم ارد منك...».

وضمت قبضتيها يأساً:

«لم اعن تلك الطريقة...».

«هل حدث صدفة اذن؟» قال بغضب شديد «حدث صدفة والخطأ هو خطأ الرجل دائماً».

«كلا. ليس ذلك عدلاً». وواجهت الاحتقار في عينيه «لم اقل ذلك. كما لم آت الى هنا لاغويك».

«كلا؟». وعاود سخريته الغاضبة «ولكن وجودك ذاته اغواء لي. قد لا تعرفين ذلك وسيتطلب الامر جهداً كبيراً لاقناعي بخطأ رأيي».

نظرت بعيداً لتتحاشى نظراته المصممة على اهانتها وفضح ضعفها، وواصل التحديق فيها كأنه احسّ بضعفها واراد استغلال تلك النقطة لصالحه فخطا الى الامام مقترباً منها من جديد. ثم قال بنعومة:

«تكادين تقنعيني احياناً بتغير مشاعرك. ثم اكتشف بعد ذلك عدم تغير اي شيء، فيدفعني احساس جديد الى محاولة تحطيم قناع البراءة الذي تواصلين ارتداءه».

وواصل الاقتراب منها فاشعرها ذلك بالقشعريرة تسري في جسمها وخشيت اقترابه منها الى اقصى حد.

«منذ فترة طويلة وانت تتحدين مشاعري وسأضع نهاية لهذا التحدي».

ولم تستطع غير الهمس بصوت لم تعرف ان كان مسموعاً ام لا:

«كلا يا جوردان، لم ارغب بذلك ابداً».

• • •

التقت جيردا بجوردان بلاك لاول مرة، في حفلة عائلية اقيمت قرب وينشستر وكانت قد التقت اخاه ستيوارت، لم يعرها اي اهتمام في البداية، كما لم يرحّب بها عندما عرفها ستيوارت به لاول مرة واحست بعد ذلك بمشاعر غريبة نحوه، لم تحاول تحليل طبيعتها الى ان التقت به بعد عدة اشهر اثناء عطلتها في خريف ربيع فتحركت حقيقة مشاعرها وبدا لها كل شيء مختلفاً لحظة اقترابه منها.

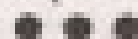
الا ان ستيوارت كان متعلقاً بها. ولم تتح لها فرصة اللقاء بجوردان الا نادراً واعترفت لنفسها ان سبب مواصلتها لقاء ستيوارت هو رغبتها في رؤية جوردان.

وعذبتها معرفتها بالحقيقة فاحست بالذنب. حاولت ان تعرف ستيوارت بحقيقة مشاعرها وبحبها لاخيه، الا انها لم تملك الجرأة للقيام بذلك، وكان الامر كله مخالفاً لطبيعتها وفضلت الموت على فضح سرها. وتحولت مشاعرها الى عذاب دائم لها الى ان حلت الليلة التي عرض فيها ستيوارت الزواج منها. وجاء عرضه متوافقاً مع طبيعته الطائشة وموقفه من الحياة، اذ اعتبر من الطبيعي ان يعرض عليها الزواج ما دامت رفضت

الاستسلام له قبل ذلك. وحين رفضت بالعطف طريقة ممكنة، دهش في البداية، غير مصدق ثم انتابه الغضب حين ادرك اصرارها. ودفعته كبرياؤه المجروحة الى النطق بكلمات ما كان ليتلفظ بها لولا ذلك، الا ان ذلك جرحها برغم فهمها لاسبابه الدافعة. ثم اتهمها في النهاية بعلاقتها مع بليز ماستون. هذا اتهام انكرته بقوة. خاصة ان بليز كان صديقاً رحاعا واهتم بها، كما كان دوريل بالنسبة لامها. لم تفكر ببليز باعتباره حبيباً لها اطلاقاً، كما لم يخطر في ذهنها التساؤل عما اذا كان بليز فكر بها بما هو اكثر من مجرد فتاة في الثامنة عشرة، خجولة، غير مدركة لطبيعة جاهلة، ومخلصة، اخلاصاً لا حد له للناس الذين تحبهم.

كلا، كان بليز شخصاً تحتمي به عند الحاجة وتشعر نحوه بالمودة وعرفان الجميل. وكان هو من لجأت اليه بعد الحادث ووجدت في علاقتها به معنى العطاء الدائم والسلام النابع من توفير الراحة لمن تحب. الا انها لم تستطع النسيان ابداً.

ولم يمت حبها لجوردان بذلك بل بقي مترسباً في اعماقها، تثيره احياناً بعض الذكريات السريعة. لكنها قاومت الذكرى بعنف لئلا تسيء الى بليز، الى ان تزوجت شقيقته الصغرى. وحين عادت مع زوجها بعد قضاء شهر العسل في كابري، تمّ لقاء العائلة بأكملها في بيت والدته في ديفون. كان الجوّ رائعاً فتوجهوا جميعاً الى ساحل البحر، واكتشفت جيرونا هناك معنى العلاقة بين حبيبين حين رأت تبادل الحب بين الزوجين الشابين. وبقيت صامتة طول طريق الرحلة الى البيت مع بليز ولما عادت الى سريرها وحدها كالعادة، بقيت مستيقظة تحلم بما رأته.



ارتجفت وابتعدت عنه.

«لم لم تخبريني؟».

«هل كنت ستصدقني؟».

وكان صوتها مليئاً بالمرارة.

«بالطبع، آه كيف كنت ساتوقع هذا؟».

نظرت الى كتفه، وشعرت بحذر غريب:

«هل سيؤثر ذلك على اي شيء؟».

وطبعاً...».

ومشى سائراً الى الجهة الاخرى من الغرفة:

«لم اتظاهر ابداً بانني قديس، لكنني لم اكن مستعداً ايضاً لاغواء فتاة بريئة».

«لم تستطع الرد. فمرر يده في شعره قائلاً:

«لم احلم بانك فتاة لم تمس من قبل. ولكنك كنت متزوجة من بليز».

«لم يكن زوجاً حقيقياً، هل يصدمك اعترافي؟».

«كلا، لكن... لكنني لا اعرف ما الذي افكر فيه حالياً».

«لم يعرف احد بالامر اطلاقاً».

«لست بحاجة الى التوضيح... انني...».

وسحبت يدها بسرعة:

«كلا، اظن انني اريد اخبار شخص ما. كان عليّ اخبارك منذ البداية، بدلاً من محاولة خداعك».

«كلانا جيرونا».

ومد يده الى علبة سجائره فسحب واحدة بدأ تدخينها واحست بالرغبة في اخباره كل شيء، رغم احتفاظها الحقيقة عن الجميع لسنوات طويلة.

«اخبرتك ذات مرة انني تزوجت بليز بدافع الشفقة. حسناً انها الحقيقة. قد يبدو الترتيب مستحيلاً لكنه لم يكن بسبب ما فكرت به. انه لم اتزوجه هرباً من مس دايلي تجاه ستيوارت والحادث...».

«جيرونا، لا حاجة بك لاعادة الحديث...».

«بل يعود الامر الى زمن بعيد، حين مرضت والدتي اوصى الطبيب بوجوب مغادرتها انكلترا اثناء الشتاء، وقضائها الفترة في مصحة سويسرية ورتب الحجز لنا، وذهبت معها لقضاء العطلة سوية. وكان بليز مريضاً في المصحة نفسها، بعد ان ازيلت احدى رئتيه، الا ان المرض تسلل الى قلبه بعد ذلك. ولانه كان الانكليزي الوحيد فكان من الطبيعي لقاؤنا وتبادل الاحاديث. كان عطوفاً ومثيراً للاطمئنان ومنح والدتي كل مساعدة ممكنة للاستقرار وهكذا شعرت بالامان لتركها هناك والعودة الى انكلترا دون خوف عليها. بعد ستة اشهر استلمت رسالة منها قالت فيها بأنها افضل من السابق، وانها ستنتقل في الاسبوع المقبل الى مصح آخر، لا استطيع لفظ

اسمه بطريقة صحيحة لكنه قد يكون ثانيا جورجي. هناك التقت بالبروفسور هيرتز، تزوجا بعد عدة اشهر واستقرت هناك بشكل دائم. انه شخص بالكتب النادرة ويعمل قرب جامعة غراتز، وهما سعيدان جداً.

توقفت عن الكلام مدركة بانها ابتعدت عن الموضوع الاصلي. ثم تابعت:

واخبرتني في رسالتها ان بليز في طريق عودته الى انكلترا وانه سيأتي لزيارتي. وعندما جاء دعاني للعشاء فتحدثنا عن والدتي وسويسرا وعمله. كان اكبر مني سناً، وتوفيت زوجته قبل سنوات. وحين تزوجت والدتي كان عليّ ان اقرر هل اذهب لاعيش معها ام لا. اعرف انها ارادتني معها للعيش معها، خاصة ان زوج والدتي رجل عطوف ورائع، لكنني لم اكن واثقة من رغبتي بترك انكلترا وحياتي فيها، واذ حثني المحيطون على الذهاب الى سويسرا، نصحني بلير بعدم الذهاب ما لم اكن واثقة تماماً من اختياري وان اترك الفرصة لوالدتي للاستقرار في حياتها الجديدة. بعدئذ، حين ذهبت لقضاء عطلة طويلة معها، ادركت صحة رأيه. اذ كان الاثنان منغلقين في علاقتهما تماماً. هو يقوم بترجمة بعض نصوص القرون الوسطى، تساعده والدتي في ذلك خاصة بعد ان اتقنت اللغة في فترة قصيرة. واحسست بعدم الحاجة اليّ. كانت في صحة جيدة وتتمتع بحياتها الخاصة. وحين عدت الى انكلترا والتقيت بستيوارت وتوقفت عن لقاء بلير، حينئذ كنت متعودة على الاخذ دون العطاء، وعلمت اثناء ذلك ان رئة بلير الاخرى معطوبة وان الاطباء اخبروه انه لن يعيش اكثر من عام آخر.

تحركت جيرداً. فتناول جوردان السيجارة من يدها خاصة وانها لم تدخنها اطلاقاً. . .

وانت تعرف البقية، ادركت بانني لا احب ستيوارت، وبعد الحادث لم اعرف ما الذي افعله وكنت تعسة جداً، وذات ليلة عرض عليّ بلير الزواج واخبرني بانه لا يملك الكثير ليقدمه اليّ وانه لن يستغرب اذا ما رفضته بعنف، ولكنه اضاف بانني اذا لم اقرر الذهاب للعيش مع والدتي فيجب ان افكر باقتراحه. وكنت اعلم بانه سيمنحني السعادة، وادركت فجأة بانني اريده وانني احبه واريد العيش معه والاهتمام به.

وتكلمت بعمق:

وكنا سعداء جداً. ورغم خوفي الدائم مما سيحدث كنا قادرين على الضحك والفرح. ومرّت بنا ايام كان فيها بلير مريضاً جداً لكنه كان شجاعاً فاجبرني على مشاركته احاسيسه. واذ مرّ العام وبدا عليه بعض التحسن تجرأنا على التفكير بخطأ افتراض الاطباء، او حدوث معجزة. . . الا ان كل شيء انتهى في العام الماضي. . . ، وارتعش صوتها وركنا على وشك الذهاب الى ديفون، الا انه احس بالضعف الشديد ثم توفي في المستشفى في ليلة عيد الميلاد.

وساد بينهما صمت طويل بعد ان انهت حديثها، واخيراً تحرك جوردان ووضع يديه على ركبتيه للحظة قبل ان يقف ثم يمشي في الغرفة، وقال:

ومطلقا ترك لك؟ بعض المال والذكريات؟

ظل مديراً ظهره لها ولم تستطع فهم حقيقة سؤاله، الا انها اجابته بهدوء:

وكلا، لكنني تعرفت من خلال الزواج على شخص طيب. لم يكن هناك اي خداع في زواجنا، بل منحته الحب والصحبة وارجو ان اكون قد ساعدته في تسهيل آلام السنة الاخيرة، ومنحني من السلام والتفهم اللذين كنت في حاجة ماسة اليهما. ليس لدي ما آسف عليه بصدد زواجي من بلير وكنت فخورة بكوني زوجته.

استدار جوردان وكان فمه منقبضاً كأنه كان على وشك قول شيء، ثم غيّر رأيه في اللحظة الاخيرة:

وكان من الممكن بقاء بلير حياً عدة سنوات. هل كنت ستحافظين على مشاعرك ذاتها نحو الزواج؟

ونعم.

همست مؤكدة، قبل ان ينتابها احساس مفاجئ، بوجوب هربها. لكنه لم يفهم قلقها ورغبتها في الاختلاء بنفسها، فعاد ليجلس الى جانبها ولاول مرة رأت في وجهه القلق والندم وشيئاً آخر لم تفهمه، قال:

وهذا يجعل الامور مختلفة هل تفهمين؟ ما كنت سأتصرف بهذه الطريقة، لو انني عرفت من قبل ما قلته لتوك.

وبحركة مفاجئة حاول معانقتها معتذراً عن سلوكه:

ولا احاول اختلاق الاعذار لسلوكي، لكن يجب ان تصدقي ما قلته.

الا ان جوردان نسي كبرياء المرأة وقوتها على العفو بالغير للشاعر، وحتى فضيلة الغفران. وكانت، في تلك اللحظة، لمسة جوردان آخر شيء ارادته فانكمشت في مكانها، مبتعدة عنه:

«نعم قلت لك لا احبه للأمر».

كانت حركتها مندفعة، فوقف جوردان بسرعة ونظر اليها بمرارة.

«نعم، اظن انني المخطيء، لماذا».

حاولت ترتيب شعرها وارتدت حذاءها ثم قالت بتعب:

«رجاء... كل ما اريده هو نسيان ما حدث، وليست الوعظة».

وواصلت ترتيب شعرها كأنها لم تسمع فعلق بصوت عال:

«حسناً، انت محقة. كنت مخطئاً في حكمي عليك، ثم اكتشفت هذه الحقيقة المثيرة الأمر الذي يجب ان تشكريني عليه. لكنه لا وجود لامرأة ذات منطق وتعرُف على الحقائق. لو انني اخبرتك فعلا لحولت الموقف الى مأساة، اما لأنني لم افعل فانك تسمين الامر احتقاراً.. اليس كذلك؟».

ولفك جيردا غضب اعماها. وكانت مرتبكة الى حدٍ لم تفهم فيه ان جوردان نطق كلماته الاخيرة ليحمي نفسه من خجله وتزعزع ثقته بنفسه، وتجاهلت كل محاولاته للتحدث معها واقناعها بأخذها الى البيت بواسطة سيارته، فهرعت مغادرة المنزل بأقصى سرعة لتجد في الظلمة ملجأً لها.

٨ـ من يملك يحكم

تأرجحت مشاعر جيردا، خلال عطلة نهاية الاسبوع، بين الكراهية اللامعقولة لكل الرجال وجوردان بلاك بشكل خاص بين احتقار ذاتي بالقدر نفسه. وفقدت القدرة على تذكر الاسباب الاولية التي دعتها للذهاب لرؤية جوردان وبقيت مكتئبة نتيجة ما حدث. وفكرت بأنها لم تفشل في اقناعه بتغيير قراره بصدد العقد فحسب بل خسرت بقية احترامه لها. هذا اذا تجاهلت فقدانها احترامها لنفسها.

كانت مكتئبة وتعيسة حين ذهبت الى المستشفى يوم الأحد. ولولا وعدها بزيارة هوارد ومعرفتها بنقله الى المصح في اليوم التالي، لما وجدت الجرأة الكافية لرؤية احد. لكنه بدا بصحة جيدة ومتمتعاً بمعنويات عالية. ووجدته جالساً خارج الردهة في قاعة الزوار، الأمر الذي افرحها لوهلة، تلا ذلك احساسها بانه لم يعرف بعد ما جرى لجيرنفتوريز.

ابتسم لها ومد يديه ليمسك يديها حين رآها تتقدم نحوه وقال:

«انه يوم جميل... اليس كذلك؟».

وانتبهت جيردا الى جمال النهار وحاولت الابتسام والموافقة.

«اذا بقي الجو حسناً سأتمتع بفترة نقاهتي. سأمشي واتمتع بالشمس وربما سأمارس لعبة الغولف، حينئذ سأدرك انني اصبحت رجلا عجوزاً».

«انك لست عجوزاً، وليس لعب الغولف دليل ذلك. لأنها لعبة يمارسها الشباب».

«صحيح؟».

ابتسم هوارد بغموض ثم قال:

«وماذا جرى؟ يبدو عليك التعب».

«لا شيء، انني بصحة جيدة».

واجبرت نفسها على الابتسام من جديد.

«لا يبدو عليك ذلك. هل استطيع مساعدتك؟».

«كلا، لا شيء هناك. باستثناء...».

وتوقفت برغم علمها بوجوب اخباره، الا انها كانت تحاول وبقدر الامكان تأجيل التحدث. وارادت اخباره بلطف دون ان تثيره او تزيد من آلامه.

«باستثناء ماذا؟». وقطب جبينه وجيرما، «هل انت قلقة بشأني وشأن الشركة؟ وذلك العقد؟ لانني...».

«نعم، ولم ارد اقلاقك، لذا أملت بنقل اخبار...».

وبدأت فجأة اعترافها بجمل متكسرة وبطريقة تختلف عن اسلوبها العادي، معه عادة.

«وكانت رسالته باردة، اعرف انها رسالة رجل اعمال لكنني اردت تغيير رأيه، واملت ان انجح بذلك، قبل نقل الاخبار السيئة اليك، فطلبت من ميرك تأجيل حديثه معك علني ابحث مع جوردان بلاك ثم التقيت به، الا ان اللقاء كان فاشلاً ولم يغير رأيه وكنت حمقاء في سلوكي اذ انني زدت الامور سوءاً».

«وهل هذا ما يقلقك الى هذا الحد؟».

فاطمها هوارد.

فأومأت برأسها ايجاباً خائفة من اشعاره بانها خذلته في تنفيذ المهمة، فقال بهدء:

«وبدأت اتساءل عما اذا صدقت دعابتي حين اقترحت عليك استخدام سحرك في اغواء جوردان... آمل انك لم تصدقي ما قلته ولم تقومي بتوريط نفسك في علاقة شخصية مع بلاك؟».

وبذلت اقصى جهدها للسيطرة على مشاعرها:

«لا ادري اذا كنت اخبرتك من قبل... الا انني كنت على معرفة وطيدة بأخيه ستيورات وهكذا كان هناك عنصر شخصي في المسألة... الا انه لم يؤثر على الموضوع».

«كلا لا اظن ان لذلك تأثيراً. انه من الخطأ السماح بخلط العلاقات الشخصية بالعمل. واعتقد ان النتيجة ستكون زيادة عدد الاعداء وفقدان الاصدقاء».

وصمتت ثم اضافت متأملة:

«تعجبت لأنك تبدين قلقة. لا داعي لاقلاق نفسك. انا واثق من اخلاصك في عملك، ولا داعي لتكرار ذلك. الا انني سأغضب اذا ما سمحت لمشاكل بإقلاقك».

وتحرك يده اشارة الى اغلاقه الموضوع:

«حسناً. والآن اليك اخباري: انا لست منفصلاً تماماً عن العالم. واذ انك لم تأتي لزيارتي يوم الجمعة، فلم تعلمي بأن ميرك جاء واخبرني كل شيء، بما في ذلك محاولتك الصغيرة للتأثير على جوردان. لم ارد اخبارك اولاً، ولكن بما انك ذكرت كل شيء، فأجد من الافضل ان تعرفي. تحدثت فترة طويلة مع ميرك وابلغته قراري، الامر الذي لم يرغب فيه هو، لكنه ادرك انه الحل الوحيد الموجود امامه».

انكمشت في مكانها واحست بأنه على وشك اطلاعها على خبر سيء. وبدا على هوارد محاولة اختيار كلماته بدقة واذ تحدث، ادركت صحة احساسها:

«فكرت كثيراً، خلال الايام الماضية، وواجهت شيئاً لم استطع مواجهته من قبل وهو المرض. لذلك قررت الانسحاب. نعم، سأنسحب من جيرنفورودز وسأتقاعد. سأبيع بيتي في المدينة واجعل من منزلي في ديفون محل اقامتي الدائم. وفي امكانك المجيء لقضاء عطلتك معي ومشاركتي حياتي البسيطة».

كان ذلك آخر شيء توقعت سماعه. هوارد يتخلى عن صراعه!

«لا اصدق ذلك، اعرف باننا جميعاً حاولنا اقناعك بالتخلي عن بعض مسؤولياتك ومراعاة صحتك ولكن ان تتقاعد، ما الذي ستفعله طوال يومك اذن؟».

«الكثير، اصطاد السمك وارعى الحديقة. وربما سأكتب كتاباً حلمت دائماً بكتابته. سأتخلص اخيراً من الشركة وسأكون سعيداً لذلك».

«نعم، انك تستحق السعادة وسأساعدك على تنفيذ ما تريده».

«وآمل ان تفعل ذلك لاني مدركة لمدى ارتباطي بالعمل. قد احس احياناً بالقلق والندم لقراري، لكن ذلك سيقل بمرور الوقت وسأتوصل الى الاقتناع بأن قراري كان لصالح الشركة وزملائي ونفسي».

«ولا اعرف ماذا ستكون عليه الأمور بعد ذلك».

«انك انسانة رقيقة وعاطفية، لا اكد لك بانني سأنسى خلال شهرين وتعود الأمور الى مجراها الطبيعي بالنسبة اليك اذ ستبقين مساعدة شخصية لمركز».

«نعم».

وتنهدت محاولة تغطية شكوكها:

«ليس الأمر كذلك...».

وسألت نفسها فجأة، عن شخصية الرئيس الجديد المؤهل لاحلال محل هوارد. ثم تذكرت شيئاً آخر، فرفعت رأسها بحذر. ماذا اخبرها جوردان؟ كان يفكر بشراء جيرتفوردز!

والتقت عيناها بعيني هوارد المتسائلتين وكتمت انفاسها لئلا تلفظ السرّ الأخير. لكن كل ما قاله جوردان هو انه يفكر بشراء الشركة وقد يغيّر رأيه، وجوردان ليس من النوع الذي يكذب عادة، فهل من الحكمة ترداد كلماته لهوارد؟

وإذ واصلت صمتها قال هوارد اخيراً:

«في اي حال، ستعرف مصيرنا في لقاء يوم الغد سأكون حاضراً في العاشرة والنصف، وسأغادر المكان الى المصنع بعد فترة الغداء».

وقف في مكانه وكان متمتعاً بهدوئه:

«ارجو ان تحجزي لي مائدتي المعتادة في المطعم، في الثانية عشرة والنصف».

«نعم بالطبع. هل تحتاج شيئاً آخر؟».

«لا اعتقد ذلك. باستثناء رجائي ان تتخلصي من دلائل القلق على وجهك».

ربّت على كتفها وبدأ السير ببطء، متجهاً الى مدخل الردهة مكرراً:

«سيكون كل شيء على ما يرام. اطمئني».

ولكن هل جرت الأمور وفق ما تمناه؟

كان الجو العام في المكتب، صبيحة اليوم التالي، مشحوناً بجو العاصفة. بدا القلق واضحاً على العاملين وسادهم الصمت. ورغم اشعة الشمس الساطعة، كان مكتب الاجتماع بارداً، ولم تؤثر حتى الزهور التي وضعتها الزيابيث على مجمل قرب النافذة، على الجو الصارم المحيط بكل شيء.

وكان هوارد آخر القادمين، لذلك لم تجد جيرما فرصة للتحدث معه، باستثناء مبادلته تحية الصباح واعدت دفترها استعداداً في حالة رغبته باملاء اي ملاحظة عليها.

كان الاجتماع هادئاً بشكل غير معتاد وساد الحاضرين احساس بالاكتئاب طغى حتى على ضجة حركات مبرك المألوفة. بل شعرت جيرما بحزن الموجودين وتساءلت عما اذا كان خبر ترك هوارد للشركة قد تسرّب اليهم وتأكدت من حقيقة ذلك اذ لم تلحظ الدهشة عند اعلانه اياه.

واحست جيرما بالحزن العميق ينتابها اثناء فترة الصمت التالية وغالبت كآبتها محاولة عدم التفكير بانها آخر مرة يرأس فيها هوارد اجتماعاً في هذه الغرفة. وسيجلس في مكانه شخص آخر شخص يختلف عن هوارد الصديق الحميم. ومال هوارد الى الامام وسعل كعادته كلما اراد ذكر شيء مهم، كلا لن تعود الأمور الى مجاريها القديمة... بهدوء وبصمت خالٍ من العواطف اعلن هوارد مقترحاته وعرض جوردان بلاك لدمج الشركة تحت ادارة شركته الحالية.

وعند التصويت وافق الحاضرون على مقترحات هوارد باستثناء اثنين، وكانت الخطوة بداية النهاية لجيرتفوردز، اذ يعني قبول عرض جوردان بلاك ان ادارة الشركة ستكون تحت امرة وينتفورد وسياستها موجهة من قبلها. اما بالنسبة الى جيرما فالتغيير عنى ما يلي:

اولاً ان جوردان بلاك سيحلّ محل هوارد. وان ايامها الاخيرة في الشركة قاربت الانتهاء. لانها لن تتحمل رؤية جوردان بلاك كمدير لها يسيطر على الشركة.

ولكن، لماذا لم يخبرها هوارد؟ لا بدّ انه اتصل بجوردان، وعرف بعرضه. وكتبت بشكل آلي ما املاه عليها، ولم تكن مصغية للنقاش الدائر، بل سمعت فجأة انفتاح الباب.

أغلقت دفترها ورفعت رأسها فرأت جوردان بلاك داخلاً الغرفة.

انتهى الاجتماع، لكنها بقيت جالسة في مكانها. ورأت هوارد ينهض من كرسيه للقاء جوردان وإذ مدّ الأخير يده للمصافحة فقبلها هوارد متحمساً. وانتهى الصمت الطارىء حين بدأ هوارد يعرّف الأعضاء بجوردان. وتحرّك الرجال مبتعدين عن الطاولة التي بدت فجأة مهجورة مغطاة بالأوراق والأقلام، وبعض بقايا السجائر...

وقفت جيردا ممسكة الدفتر بإحكام إذ رأت نظرات جوردان تستقر عليها. ثم استرعى انتباهه شيء تفوّه به ميرك فاستدار ليتحدث إليه. ودخلت اليزابيث الغرفة وهمست في أذنها لكنها لم تسمعها بل كانت مشغولة بمراقبة هوارد يلتقط حقيبته ثم يصافح الأعضاء مودعاً. ابتسم لجوردان بلاك وخرج الرجلان سوية دون النظر إلى الوراء.

وأحست بالبرودة كأنها تعرّضت للخيانة، فكم كانت عاطفية حمقاء، وكم من المتاعب واجهت وعرّضت سمعتها للتشويه...

كانت بقية اليوم عذاباً مبرّحاً لها. ووجدت من الصعب جداً التركيز على طباعة وإعداد الرسائل المطلوبة، وأخيراً فقد ميرك صبره وسيطرته على أعصابه فوبخها غير مرّة.

وحدّق ميرك في وجهها مدهوشاً.

وعليك القيام بعملك بطريقة أفضل يا عزيزتي، خاصة عند وصول الحاكم الجديد.

لم تكن لهجته قاسية إلا أنها تألمت لمجرد الملاحظة.

ولا أعتقد أنني سأبقى مع العهد الجديد.

وهذا هو السبب إذن. كان عليّ إدراك الأمر، لكن كل شيء سيبقى كما هو الآن دون تغيير.

صمتت لتفكر بحالها. وعنى التغيير بالنسبة إليها ترك المدينة والعمل وإيجاد مكان آخر للعيش. وكانت تلك هي الطريقة الوحيدة للتغيير الحقيقي.

وإذا كنت قلقة لوجود جوردان بلاك فلا داعي لذلك، صحيح أنه سيشن هجومه من حين لآخر، إلا أنني سأستغرب إذا رأيته أكثر من عشر مرات في السنة.

وانكمشت لملاحظة ميرك القلقة من شأن جوردان وكلماته وتذكرت بأنه قادر على توجيه التهمة ذاتها إليها.

نظرت إلى أرجاء الشقة، تلك الشقة، بعينين باكيتين. هل تستطيع بيع البيت الذي جهزته مع بليز؟ خاصة بعد أن تقبلت وحدتها وعزلتها إثر وفاته. ماذا سيكون الوضع في مدينة جديدة لا تعرف فيها أحداً؟

ربما ستعثر على عمل مختلف. ولا يتوجب عليها العثور على منزل جديد. لكنها لم تستطع التفكير بوضوح ولم تشعر بالراحة لقرارها بالمغادرة، رغم إدراكها بأنها الطريقة الوحيدة للتخلص من رؤية جوردان بلاك إلى الأبد. كان وجوده مثل جرح في داخلها، مثل شوكة انغرزت عميقاً في جلدها ولا تجرؤ على انتزاعها للتخلص من ألمها. كيف تستطيع نسيانه ونسيان عواطفها اليائسة؟

وانتابتها فكرة حمقاء أخيرة:

ترى هل كانت ستتخلص من مشاعرها المحتدة وعواطفها ونزاعها المستمر معه لو أنها استسلمت كلياً لإرادته؟ هل في إمكان العلاقة الجسدية بين الاثنين إنهاء خلافاتهما الأخرى؟ هل كانت ستتحرر منه عن طريق الخضوع إليه ولو مرة واحدة؟

وتملّكها خوف شديد طوال الأسبوع وهو أن تراه يظهر فجأة في المكتب، وخشيت حتى الإجابة على تلفونات الهاتف لئلا تسمع صوته، إلا أن الأسبوع مرّ بهدوء ولم يظهر جوردان في المكتب واستلم ميرك كل مخابراته الهاتفية، فبدأت تشعر بالاسترخاء قليلاً وافترضت صحة نظرية ميرك. وربما كان عليها الاستعجال باتخاذ قرار بصدد تركها العمل. وإذ كانوا على وشك مغادرة المكتب يوم الجمعة، ظهر جوردان بلاك فجأة. لم يضيّع وقته في توجيه التحيات الهادئة. وطلب من ميرك مرافقته في زيارة سريعة لجيرنغوردز.

وأحست جيردا بالراحة لأنه لم يطلب منها مرافقته، بل رافقته سكرتيرة أخرى مع السيد تيلور من قسم الحسابات. وعادت السكرتيرة حاملة معها كومة من الأوراق المكتوبة وآملة أن تكون الزيارة القادمة من نصيب سكرتيرة أخرى بينما حمل جوردان مسجله الصغير ليسجل تقريره الشامل.

أسرعت اليزابيث بجلب صينية الشاي وأجبرت جيردا على القيام بدور

الضيقة، اذ اسرعت الزابيث للرد على الهاتف. وتمنت في داخلها عدم حدوث شيء طارىء يتطلّب استدعاء ميرك وتيلور وبالتالي تركها وحدها مع جوردان.

ولم يكن امامها خيار غير صبّ الشاي وتوزيعه على الثلاثة احست بالرعشة تسري في جسدها اذ قدمت له الكوب، الا انها لم تنس حرصها على ترتيب كل شيء في مكانه مثلما كانت تفعل عند زيارة احد الشركاء لجوارد، حين تضع المنفضة وعلبة السيجار والولاعة في مكان يسهل الوصول اليه.

جلس جوردان بهدوء في بذلة غامقة اللون كالعادة وبدا كعادته ايضاً كما لو انه خرج لتوه من الحمام، حليق الوجه والعطر الرجالي يحيطه بجو خاص، دمدم بصوت خافت دون ان يتحرك من مكانه:

«شكراً».

وبدا كأنه على وشك الابتسام لها.

وتصرف معها كأنها غريبة لكنها لمحت في نظراته ما ذكرها بما حدث بينهما في منزله، فاستدارت بسرعة متحاشية النظر مباشرة اليه وغير قادرة على التصرف بشكل طبيعي. واحست باحمرار خديها وقاومت رغبتها في الضغط عليهما بيديها الباردتين لابعاد اللهيب الساخن وارادت التسلل بهدوء خارج الغرفة لكن صوت ميرك اعادها الى مكانها، اذ طلب منها اخراج نسختين من العقد مما ذكرها من جديد بمأساتها واضاف:

«لم لا تشربين شايك؟».

وسحبت نسختين من العقد من درج المكتب، وناولت الاولى لميرك ووضعت الثانية على المكتب امام جوردان بلاك، ولم يهمها اذا كان سيوقع او لا يوقع العقد.

رفع رأسه وقال:

«لديّ نسخة. أتذكرين؟».

ورفع حاجبيه وسحب نسخته الخاصة فأجبرها بذلك على الالتفاف حول المكتب واخذ النسخة الثانية لاعادتها الى مكانها، وفكرت بانه تعمّد ابداء الملاحظة ليهينها مرة جديدة. صبت لنفسها قدح الشاي واخذته الى مكتبها في زاوية الغرفة وجلست في وضع يبعدها عن مدى رؤيته.

فتحت ملفاً موضوعاً على المكتب متظاهرة بأداء بعض العمل ولاحظت جوردان بلاك وهو يوقع العقد بلا اهتمام، ووصل الى حد السخرية ثم سمعت ميرك يهمس بشيء ثم ضحكا سوية. فأحست بالاكتئاب. نعم من حقه ان يضحك اذ انه يقوم الآن باستلام ضحيته الثانية: فان لوران اولاً وجيرنظوريدز ثانياً. واستلم جوارده بلا أسف، كما توقع جوردان تماماً. وكان جوردان على معرفة اكيدة بكل خطواته التالية ومع ذلك واصل التلاعب بها واختبار اخلاصها رغم اتهامه لها بعدم الاخلاص.

حسناً انه درس مفيد لها وستحاول من الآن فصاعداً اعتبار العمل مع غريب عنها وان تحتفظ بمشاعرها لنفسها دون خلطها بمسائل العمل، ستحاول بالتأكيد العمل بكل جدّ واخلاص ولكن بشكل غير شخصي. . .

وستكون ذات يوم، قادرة على النسيان. . .

«هل تعملين هنا عادة؟».

اجابت دون ان ترفع رأسها:

«نعم».

«يجب ان تعملي دائماً بحيث يكون الضوء مسلطاً على كتفيك ولا يواجهك».

وتحرك خلفها ليقف عند المكتب الآخر واراح يديه على صفحة المكتب.

كانت اظافره شاحبة ولاحظت شعره الاسود الكثيف مغطياً رسغيه وانتبهت الى ساعته الثمينة، حرّك يده على المكتب وقال:

«صفحة هذا المكتب تعكس الضوء ومن الافضل ان تعملي على مكتب مختلف وان يوضع المكتب في الجهة اليسرى هناك».

«عملت بكفاءة وراحة طوال الشهور الستة الاخيرة، دون الحاجة لتغيير اي شيء».

«لم احاول التشكيك بكفاءتك. قلة من الناس يدركون خطأ مواقع عملهم الى ان يتم تصحيحها فيشعرون بالفرق. والموافقة المبدئية على الفكرة تثير الحماس عادة».

تنفست بعمق وقالت:

«شكراً لنصيحتك يا سيد بلاك. انني اقدرها. لكنها ليست ضرورية».

ورفع يده عن المكتب لينظر اليها متسائلا:
«الآن قررت التوقف عن العمل هنا؟».
وتردد قليلا لكنه استعاد برودته المعتادة وقال:
«يصح المبدأ في اي مكان ستعملين فيه. بالمناسبة، سيتزوج ستيوارت غداً».
لم ينتظر استجابة منها، واذا ادارت رأسها اخيراً لم يكن هناك احد غير ميرك سائراً في الممر الخارجي.
وغطت غيمة سوداء الشمس، اذ راقبت جوردان بلاك يسوق سيارته. وبدا وكأن البرودة قادرة على اختراق دفء المكتب.
توجب على اليزابيث ترداد كلامها مرتين قبل ان تنجح في جذب اهتمام جيردا، ثم طلبت منها التكرار مرة اخرى معتذرة بالصداع.
«قلت بأن حضوره رفع العاصفة، وقد اصيبت احدى العاملات في المكتب العام بالصاعقة!».
«كيف؟».
«حسناً، ان حسناءنا ذات العينين الزرقاوين ستكون عاطلة عن العمل بقية اليوم لانها لا تزال تنظر من النافذة متتبعة خطوات جوردان، والتعبير على وجهها يماثل التعبير المرتسم على وجهك الآن. بل اعتقد بانها تنوي البقاء عند النافذة الى ان تراه ثانية مبتعداً قرب المنعطف».
«حقاً؟».
«نعم، اعتقد انه يمتلك جاذبية خاصة تدير رؤوس الشابات، وانني اشعر بالراحة لانني اجتزت تلك السن».
«سيشفيهن جميعاً قريباً».
«بهذه السهولة!».
وابتعدت الى الجانب الآخر من المكتب ثم قالت:
«آه، ربما كنت محقة، اذ يتوجب على الأرض مواصلة دورانها».
وبقي صدى ملاحظات اليزابيث يرن في رأس جيردا بقية النهار، اضافة الى تفكيرها بحاجتها الماسة الى بدء حياة جديدة. يجب ان تتمالك نفسها وان تغادر جيرنغفوردز. اليس الآن؟ لكن متى؟ والى اين؟
وكان ستيوارت على وشك الزواج. لا بدّ انه سيتزوج سوزان. وكانت

ملاحظة جوردان القصيرة دليلا على شخصيته المحبة لمفاجأة الآخرين دون توقع. هل غيّر رأيه الى حدّ ان وافق على الزواج وباركه؟ اليس من المعقول تغيّره بهذه السرعة؟
فكرت بوجوب اتصالها بستيوارت لتهنئته وتتمنى لهما السعادة الا انها كانت تعاني من اكتئاب جمّدها في مكانها، دون ان ترغب بالحركة لساعات طويلة، الى ان عرض على شاشة التلفزيون برنامج وثائقي مملّ، فتحركت اخيراً متوجهة نحو الهاتف. لماذا تستسلم للحزن والاكتئاب والحزن لمجرد فشلها في علاقة حب، بينما يعاني الكثير من الناس من حالات مرضية مخيفة؟
لم تتعرف في البداية، على صوت المجيب الى ان ذكر اسمه، ليون. وطلب منها الانتظار لحظة ثم نادى ستيوارت. وسمعت اصواتاً عديدة في الغرفة وصوت موسيقى صاخبة، لا بد انهم يحتفلون بالزواج.
«نعم. الخبر صحيح. وها نحن نحتفل مسبقاً قبل توجهنا الى مكتب الزواج غداً. هل اخبرك جوردان؟ طلبت منه ان يجلبك معه الليلة اذا لم تعطي شيئاً آخر لكنه اعتذر قائلا انه مشغول جداً. هل تريدين التحدث الى سوزان؟ انها في مكان ما هنا، انتظري».
وسمعته يصرخ طالباً من احدهم التخلص من الموسيقى.
«هل ما زلت هناك؟».
«نعم».
كان ستيوارت جذلا ولا بد ان الاحتفال جميل فقالت بسرعة:
«لن اعيقك فترة اطول عن مواصلة حفلتك. كل ما اردته هو تمني السعادة لك ولسوزان».
«نعم، نعم. اين هي؟ انا متأكد بانها تريد محادثتك، بل اخبرتني بانكما تصارحتما بالكثير من الأشياء، فافترضت بأن هذا سبب عدم اتصالك بي. الا انها مسرورة الآن ولا تشعر بالغيرة منك. اعترفت لها في الليلة الماضية بكل ما في الأمر. حين استعيد الماضي الآن تنتابني الرغبة في الضحك. تمنيت لو انني لم اخبرها، ولكن ما كان عليّ فعله غير ذلك؟ وكنت انت الوحيدة المتفهمة لظروفي، وشعرت بانني انتهيت منه الآن. وباستثناء جوردان لن يتذكره احد. اعني، لم تزعجك المسألة اليس كذلك؟».

ثم توقف بانتظار موافقتها المضمونة. وفجأة قال كأنما خطرت على باله فكرة رائعة:

«لم لا تأتين غداً لمرافقتنا؟ لن يحضر الكثيرون بل سأكون انا وسوزان، جوردان وليون فقط، وسنشرب نخب الأيام القديمة».

«كلا، لا استطيع. سأرحل غداً الى مكان آخر لقضاء عطلة نهاية الاسبوع. ولكن شكراً للدعوة. واتمنى لكما السعادة وساصلي لك كي تستطيع المشي على قدميك قريباً. مع السلامة وحظاً سعيداً».

وقبل ان يجيبها وضعت سماعة الهاتف جانباً. هكذا اذن انتهى كل شيء... ومالها اذا آلمها الأمر؟... استرخت في كرسيها... تحتم عليها الابتعاد عن المنزل... اين تذهب؟ ليس الى البحر ولا الى الريف الجنوبي... بل الى مكان تنسى فيه...

وصلت الى مدينة اسكونه، عند ظهيرة يوم السبت وتجولت في شوارعها المزدحمة بالمتسوقين، ثم ابتعدت بعد ذلك الى ريف المنطقة الفاتنة، وكان الجوّ جميلاً، الشمس مشرقة والخضرة في كل مكان، حجزت لها مكاناً لقضاء الليلة في فندق قديم منعزل قريب من منطقة عابقة بالأشجار.

بقيت هناك حتى مساء الاحد، مؤجلة عودتها مع عودة آخر قطار حتى لو كان بعد منتصف الليل. وهذا ما حدث اذ عادت في وقت متأخر الى شقتها. وتساءلت عن عدد المرات التي ردّ فيها الهاتف او قرع فيها جرس الباب.

وهكذا مضت ٤٨ ساعة قبل ان تسمع الاخبار المخيفة: توفي هوارد تودور في صبيحة يوم السبت، اذ تخلى القلب المتعب عن صراعه من اجل الحياة واستسلم للموت اثناء نومه ولم تصدق الخبر، الا ان ذلك حدث فعلاً.

ولما تخلصت من التأثير الأولي للصدمة، لم تحاول اخفاء حزنها بل بكت لساعات طويلة مدركة حتمية الموت متناسية مشاكلها امام المصيبة الكبرى، رغم انها لم تنس أعظم قلبها.

٩ - على ضفاف الراين

انتهى كل شيء. لم يبق امامها غير اغلاق حقيبة ملابسها وانتظار سيارة الأجرة. خلال ساعات قليلة ستكون في فيينا، لكن الفكرة لم تثرها. بل واعتقدت ان الناس هم مبعث الفرح والحزن وليس الأماكن. جلست على حافة الكرسي المجاور للنافذة. كانت عيناها ثقيلتين مستسلمتين لما سيأتي بعد التخلص من ثورة الروح والعاطفة. الا انها ما زالت تشعر بالحزن والأسف اللامحدودين واستسلمت للاحساس بانها ستحتاج وقتاً طويلاً للتخلص من ذكريات الأيام الاخيرة. لو انها لم ترتبط في ذهنها برأي جوردان بلاك لآخر مرة في الشقة، حيث نظر اليها مرة واحدة، نظرة غريبة، متعزلة وباردة. ثم انصرف بصحبة رجل لا تعرفه. جاء ليعزي بوفاة هوارد تودور وتساءلت بمرارة اذا كان احساسه بالأسف حقيقياً، تحت ذلك القناع البارد.

نهضت بقلق ونظرت الى ساعتها وحاولت اجبار نفسها على التفكير برحلتها. ارسلت برقية الى امها بعد سماعها الخبر مباشرة، لكن والدتها كانت في زيارة بعض الاصدقاء وإلى ان عادت واستلمت البرقية، كان الوقت متأخراً لحضور مراسيم الدفن واتصلت بجيردا هاتفياً مساء اليوم ذاته وهي في حالة يرثى لها من الحزن، اتفقت مع جيردا على السفر مباشرة للبقاء الى جانبها.

تفهم ميرك مشاعرها واكتفى بالقول:

«اذهبي. انت بحاجة الى الراحة».

ولم تخبره عن رغبتها في الرحيل الدائم، بل فهم ذلك تلقائياً.

كان من الغريب كيف قسمت الحياة نفسها الى اجزاء منفصلة: الطفولة والمدرسة والبيت وبدايتها المؤسفة بفقدان والدها، ثم بحثها عن العمل وتطلعات المراهقة ومواجهتها لأول ازمة في حياتها وقبل انغلاقها باب تلك الفترة، لقاؤها بايلي. والآن . . . ربما كانت والدتها محقة، ربما حان الوقت لعودتها الى البيت ولكن اين البيت؟

وبدأت تتفقد حقيبتها: الجواز، بطاقة السفر، العملة الأجنبية والنقود في محفظتها لدفع اجرة التاكسي . . . وانتابها الاحساس بنفاد الصبر والرغبة في المغادرة بأسرع وقت. ولما سمعت قرعاً على الباب حملت كل شيء والقت نظرة اخيرة حولها قبل ان تتوجه نحو الباب.

وارتسمت في ذهنها صورة سائق التاكسي، وهي تحاول فتح الباب، واعاق حركتها وجود الحقيبة فدفعتها قليلاً واخيراً نجحت وامتدت يد اليها:

«يمكنك اعادة الحقيبة الى مكانها».

وكان تأثير المفاجأة كبيراً الى حد انها اطاعت الأمر بلا تردد وسقطت الحقيبة على الأرض.

تناول جوردان بلاك الحقيبة ودخل الشقة بعد ان اغلق الباب خلفهما، وواجهها قائلاً:

«من الأفضل لو تجلسين، اذ يبدو انني اصبتك بصدمة».

«انا، انا. . .».

ولم يطعها صوتها، بل بقي لسانها ملتصقاً بلثتها ونجحت اخيراً في نطق افكارها المتكسرة:

«ولكنني لا استطيع . . . اذ علي الرحيل بعد فترة قصيرة، انني ذاهبة الى النمسا».

وتخلصت من آثار الصدمة، وواصلت حديثها:

«انني ذاهبة للبقاء مع امي وستصل سيارة الأجرة في اي لحظة، ووقت الطيران. . .».

«اعرف ذلك».

وسحب حقيبة يدها وحقيبة السفر من كتفها ووضعها جانباً.

«واذا كنت محظوظة فستصلين في الوقت المحدد للطيران. اما اذا تأخرت

ففي استطاعتك السفر بعد ذلك وسأقوم بما يجب».

«ولكنك لا تستطيع، ووالدتي ستقلق لأنها تتوقع وصولي. . .».

«قلت سأقوم بالضروري. لدي ما اود الحديث عنه، واذا لم نتحدث الآن، فلن نفعل ذلك الى الأبد. ارجو ان تجلسي ولا تجادليني».

خطت نحو الكنبة، لكنها بقيت واقفة حين سمعت جرس الباب يقرع، فاسرع معيقاً حركتها وذهب بنفسه يطلب من السائق الانصراف.

«كانت تلك سيارة الأجرة وبما. . .».

«سمعتك وفهمت ما قلت. والآن انا بحاجة الى بعض الشراب».

اشارت بيدها الى الخزانة الصغيرة في المطبخ، بينما جلست على الكنبة محاولة السيطرة على ارتعاش ساقيها.

«لا افهم ما يجري. ماذا تريد مني؟ ألم يكفك ما فعلت؟ لماذا جئت الى هنا؟».

وراقبته حين عاد حاملاً بيده كأساً. جلس الى جوارها واستدار يتفحص وجهها. ولاحظ وضوح الظلال السوداء تحت عينيها.

«لا تنظري الي هكذا. كما لو انني. . . لماذا لم تخبريني الحقيقة منذ سنوات؟ لم تركتني مقتنعاً برأيي تلك الفترة كلها؟ . . . كان في امكاني قتل شخص ما. . . كم كنت مخطئاً، طوال الوقت. وبقيت انت صامتة بسبب سلوك طفل اناني وصبي احمق ترك فتاة بريئة تعاني ارضاء لغروره وطيشه. الا تفهمين؟ لم استطع تركك ترحلين دون ان اعتذر اليك. دون محاولة اعادة المياه الى مجاريها. حاولت ان اجدك طوال الأيام الماضية. اتصلت بك عدة مرات يوم السبت ثم جئت بنفسي يوم الأحد، وكدت اجن لانك لم تكوني موجودة. ثم رأيتك عند حضوري مراسم الدفن ولم اتحدث اليك خافة جرحك تلك الآونة وفضلت ان اترك لك بعض الوقت لتستعيدي قواك. ثم ذهبت جونتغورز وسمعت هناك بانك ستغادرين البلد. فلم استطع انتظار عودتك، هذا انا هنا. نعم، انني اعرف كل شيء الآن ولا اعرف ما الذي سأقوله باستثناء اني آسف».

وبدا وكأن كلماته صادرة من مكان بعيد، ثم اضاف ببطء:

«نعم، اعرف الآن انك لم تكوني مع ستيوارت في السيارة اثناء الحادث، واعرف لماذا».

«هل اخبرك ستيوارت؟».
«كلا، اخبرتني سوزان».
«سوزان؟ ولكن متى علمت، لم يكن من المفروض. . . ».
«كلا، اخبرتني قبل الزواج بدقائق. لم تعرف فيما حدث الا بعد ان اخبرها ستيوارت. وارتبكت حينئذ الى حد انها رغبت باخباري. وما زلت بحاجة الى معرفة بعض التفاصيل: لماذا حدث الأمر بالدرجة الأولى؟ ولماذا كان عذابي ضرورياً؟ لماذا اراد ستيوارت الكاذب وقبلت انت كذبته؟».

تنهدت ونظرت الى يديها، وما ان ازيل عن كاهلها الاحساس بالذنب شعرت براحة عجيبة تتملكها. ربما وصلت الى مرحلة لم يعد يؤثر فيها الألم، ربما تخلصها موت حوارة من مشاعر تملكتها فترة طويلة. ولم ترغب في العودة الى التفاصيل القديمة اذ يكفيها الآن، معرفة الحقيقة.

قال:

«اعرف ان سوزان كانت تقود السيارة. وانها كانت في الخامسة عشرة من عمرها وانها لم تكن حائزة على اجازة للقيادة وانها اصيبت بالرعب. افهم ذلك، كما استطيع تخيل ردة فعل والدها، فيما لو تدخل رجال الشرطة في المسألة. ولكن لماذا سمح لها ستيوارت بقيادة السيارة بالدرجة الأولى؟ كان يعرف انها دون سن البلوغ وليس لديها اجازة ولا تجيد القيادة، لا بد انه كان عرفها».

«كانا قد غادرا احدى الحفلات لتوهما. وكان الطريق هادئاً وتوسلت اليه ان يدعها تجرب القيادة. كانت سوزان مغرمة به حتى في ذلك الحين واستحوذت على اهتمامه. كانت صغيرة جداً ومدللة، لانها الطفلة الوحيدة في العائلة، اذ تزوج السير هيوبرت في سن متقدمة. ووفر لها كل شيء ولم يمنعها من تحقيق اي شيء رغبت فيه. فكيف تتوقع منها التغير بسرعة؟ الا ان ستيوارت لم يشجعها. لم تكن له علاقة خاصة بها. . . كانت طفلة اثارت اعجابه اكثر من اي شيء آخر».

«بامكاني ان اتخيل شابة وجميلة ان تثير اعجاب ستيوارت ولكنني لا افهم حتى الآن لم تركها تقود السيارة؟».
«لا اظن ستيوارت نفسه يفهم ذلك».
«اعني اخفاءه المتعمد للحقيقة عني».

«كان خائفاً وكان مجروحاً».
قالت بهدوء.
«نعم، الا انه لا يزال خطأه اساساً».

ولم تلن ملامح وجه جوردان القاسية فتنهدت بمرارة. لو ان جوردان قادر على نسيان ما حدث وما فاتها التذكر الآن. واذا كانت هي قادرة على غفران خطأ ستيوارت وكذبته فلماذا لا يستطيع جوردان تناسي كبريائه المجروحة وانه بسبب كذبة اخيه؟ اخذت نفساً عميقاً واستدارت الى الجهة الاخرى، اذ كانت مقتنعة بأن ستيوارت دفع ثمن خطأيه كاملاً.

«اراد حماية سوزان. وكان مغمى عليه في المستشفى ولم يعرف ما الذي قاله».

«بل كان يعرف جيداً. اذ كان اول شيء تلفظ به: اين هي؟ هل هي بخير؟».

وهكذا علمنا بوجود شخص آخر معه في السيارة، وقت الحادث. اذ ظننا في البداية، انه كان وحده. ولكن حين سألته عن هوية الشخص الآخر. بدأ يتذكر ثم تظاهر بالحيرة والتلعثم وقال بانه كان وحده. حينئذ استدعاني الطبيب ثم البوليس وسمعت تصريح سائق الدراجة النارية عن رؤيته لفتاة تهرب من مكان الحادث. وبالتأكيد كان الكلام مقلقاً ولم يستطع السائق التأكيد بانها خرجت من السيارة. ولما عدت لرؤية ستيوارت طلبت منه الحقيقة واذا ما كانت هناك فتاة الى جانبه عند وقوع الحادث، اذ ربما كانت تعاني من صدمة الحادث وهربت الى مكان ما. لكنه خاف ثانية، وكان اسمك اول ما تبادر الى ذهني، وما ان ذكرت اسمك اكتفى ستيوارت باشاحة وجهه جانباً. الم اكن محقاً في تصديقه؟ الم تكوني خطيبته؟ الم اكتشف انت ما حدث. لماذا؟».

«لا ادري، ربما لانني شعرت بالذنب. لا ادري اذا كان ستيوارت اخبرك، لكنه عرض علي الزواج قبل الحادث بأسبوع، وتألم كثيراً حين رفضت. ثم علم انني لم احبه وهكذا وصل الانفصال بشكل اخرجت وكنت. . . حين جئت للبحث عني تلك الليلة، كنت في البيت طوال الوقت. وصل بليز قبل وصولك بنصف ساعة، لو اختلفت الأمور، لو كنا خارج المنزل مثلاً لحظة وصولك لما صدقت ستيوارت. . .».

وترددت فجلس جوردان الى جانبها محدقاً في وجهها بعينين متعبتين.
«لو لم اكن متطرفاً لادركت ان صدمتك كانت حقيقية. ولكنني تقبلت فكرة وجودك اثناء الحادث وهربك، وبدا لي وجهك الشاحب تعبيراً عن الذنب، ولما بدأت اخبار بليز بالا يقلق وانك ستصحبينني لزيارة ستيوارت، ايقنت بصواب تفكيري وظننت بانك تحاولين اخفاء الحقيقة عن بليز ايضاً».
«لم ارغب باثارة قلقه، وكان هذا احد الاسباب الداعية لمرافقتي اياك فوراً. ولكن حين بدأت الحديث عن شاهد رأى امرأة مرتدية فستاناً ابيض. . . ».
«وكنت انت مرتدية فستاناً ابيض تلك الليلة».
اومأت برأسها ايجاباً:
«شعرت بالخوف ثم حين رأيت ستيوارت شعرت بالاسف الى حد انني رغبت بالبكاء. هل تذكر انه امسك بيدي وطلب منك الابتعاد؟ ولم ترغب انت بذلك، لكنك رضخت اخيراً، فأخبرني حينئذ عن سوزان. كان مرعوباً. لم يعرف ماذا حدث لها، وكل ما فكر فيه هو احتمال اثارة الفضيحة ونتائج ذلك اذا ما عرف رجال الشرطة هويتها. وطلب مني البحث عنها والاطمئنان عليها واخبارها بان تلزم الصمت وانه سيقسم امام رجال الشرطة بانه كان وحده اثناء الحادث. وحس بانها ستعاني جحيماً لا نهاية له لو علم والدها او علمت انت. ثم اخبرني عن الشاهد وكيف بلغك بانني كنت معه».
واطلق جوردان تنهيدة غاضبة، فاحنت رأسها باستسلام:
«توجب علي ذلك. نظر الي بعجز وكان مريضاً ثم قال لي بان ما حدث كان بسبب خطأه، ولحسن الحظ لم تقتل سوزان. ولم استطع تركه وحده، لذلك دفعتك للاعتقاد بانني كنت معه وانني ركضت لاستدعاء النجدة. وكنت واثقة بأن هذا ما فعلته سوزان. ثم بعد ان أخذتني الى المنزل وبعد المشهد العاصف بيننا، اتصلت بسوزان في بيتها، طلبت منها البقاء هادئة ونقلت اليها ما قاله ستيوارت، الا انني لم اخبرها بدوري، اذ كانت مرعوبة ما فيه الكفاية حينئذ».
«توهمت بانه يرغب بحمايتك ولم اظن بانك تستحقين ذلك. وحتى ذلك

الوقت لم يخبرني بانك رفضت الزواج منه. لذلك قبلت وواصلت انت صمتك».
نهض وخطا خطوات مسرعة في الغرفة ثم استدار قائلاً:
«لا بد انني آذيتك كثيراً».
«كنت مخطئاً في سلوكك لانك لم تعرف الحقيقة. الا ان كل شيء انتهى الآن وما ارغب فيه هو النسيان».
«لا استطيع ذلك».
«انه الشيء الوحيد الباقي لي. انا ممتنة لاطلاعك على الحقيقة، لكن. . . ».
«هل تعرفين لماذا شعرت بالمرارة؟».
«انه امر طبيعي. لانك تحب ستيوارت وتركه الحادث مقعداً. لو كنت مكانك لتملكني الاحساس ذاته».
«انك متفهمة جداً. لكن لم يكن ذلك السبب الوحيد».
والتمس سيجارة لنفسه وتأمل القداحة قبل ان يعيدها الى جيبه.
«لم احتمل مواجهة الواقع. . . انت».
«انا؟».
«لم ارغب بتصديق كل شيء. لم اصدق بانك خدعت رجلين احدهما اخي ثم كنت مستعدة للتمتع بعلاقتك معي. واكثر الاشياء اثارة لمرارتي هو هذا».
وسحب من جيب سترته مظروفاً وضعه الى جانبها متحاشياً في الوقت نفسه النظر الى وجهها.
«من الأفضل ان تعديها لتتأكدي من وجودها كاملة».
نظرت الى المظروف وارتجفت، اذ عرفت ما الذي ستجده. واحست وكأنها اصيبت في قلبها بسكين حادة ولم تستطع التحرك لتناول المظروف.
«عديها، ام هل يجب ان اقوم بذلك بنفسي؟».
وتناولت المظروف وعدت المحتويات. اثنتا عشرة صورة مع الفيلم الكامل. واحست بالدوار واصبحت حركاتها خرقاء الى حد ان بعض الصور وقعت على الأرض كشاهدة امام قدمها. تصلبت في مكانها ونظرت بعيداً.

«لا، بحق السماء! يجب الا تتخيلي ما ترين. انها صور جميلة. الى حد اني ارغب. . . بحق. . . اذا كانت كلها هنا لك فدعينا. . .».

وجمع الصور كلها ووضعها في الظروف بحركات عنيفة وغاضبة.

«تعالي سآخذك الى المطار».

«كلا، دع لي الصور. اذ يكفيني ما جرى لي من المتاعب بسببها، اعطني اياها وسأتخلص منها. . .».

«كلا، سأتلفها بنفسي وهكذا سأتأكد بأنه لن تتاح لأي رجل آخر فرصة رؤيتها».

وابيض وجهه لشدة الغضب ثم بدأ بتمزيق الصور والظروف:

«والآن في استطاعتك حرقها».

ثم حاول جهده استعادة هدوئه وقال:

«واذا كنت مستعجلة. . .».

دهشت لغضبه وشعرت بالعجز حياله، فهمست:

«يبدو عليك الاهتمام!».

«الاهتمام؟ نعم، يهمني الأمر. واحسست بذلك منذ ثلاث سنوات وتحول اهتمامي الى جحيم حارق لي!».

وملأ صمته الغرفة، فوقفت الى جوار الخطاب دون ان تجرؤ على الانحناء لحملها، ثم احست باقترابه منها:

«نعم، احببتك طوال الوقت. تنحيت جانباً لأن اخي كان يحبك، او هذا ما توهمته. ثم اكتشفت زواجك برجل آخر، حتى قبل معرفتي بانتهاء علاقتك بستيوارت. والآن اصبحت تعرفين سبب احساسي بالمرارة. قد لا يكون ذلك تعزية كافية للآلام التي عانيتها ولكن قد يهمك ان تعرفي اني عانيت الكثير والآن، سآخذك الى المطار. . .».

وتردد صدى صوته في الشقة عدة مرات بعد ان توقف عن الكلام، واحست بالدوار وانتظرت عدة دقائق لتستعيد وضوح الرؤية.

«كلا، كلا. . . قل ذلك ثانية، هل كنت احلم؟ هل قلت. . .؟».

«انك غير مقتنعة بصدقي واخلاصي ويبدو انه تعين علي قدر ما تكرهينني؟ ما الذي استطيع قوله اذن؟».

هزت رأسها:

«كلا، كرر ما قلته من قبل. عن اهتمامك بي لانني لا اصدق ما قلته عن حبك و. . .».

ونظر اليها فترة طويلة ولاحظت الألم واضحاً في عينيه فتنهدت وتقدمت نحوه بسرعة فوجدت ذراعيه بانتظارها.

همست في اذنه:

«جوردان. . . جوردان. . .».

ولم يجبها بل نظر اليها بحب هامساً:

«هل تصدقينني الآن؟».

«نعم».

«جوردان يجب ان اخبرك. احببتك منذ البداية، لهذا لم اقبل عرض ستيوارت بالزواج. وتأكدت من الأمر حين كنا سوية قرب الساحل و. . .».

«ومع هذا تزوجت رجلاً آخر؟».

«اعرف ذلك، اذ ظننت بانك لم تهتم بي، ولم احلم باسترعاء انتباهك. ربما لو انني كنت اكبر سناً او اكثر حكمة. . . لا ادري. . .».

كان صامتاً فواصلت القول:

«اما بالنسبة الى الصور فيجب ان اخبرك عنها الآن. كنت بحاجة ماسة الى المال بسبب مرض امي. واخبرني المصور ان كل ما يهتم به هو الضوء، وهذا ما حدث فعلاً، الا انني ذعرت حين رأيت الصور ولو كنت، كما قلت سابقاً، اكبر سناً او قادرة على التفكير في المستقبل لما فعلت ذلك اطلاقاً، لكنني لم اكن كطفلة اتبينت اكثر ما سيحدث».

«كم دفع لك؟».

«خمسون جنيهاً استرلينياً».

«فقط؟».

«نعم، وبدا لي المبلغ ثروة صغيرة في حينها

هل اشتريت الصور لطبعها في التقويم؟ ثم غيرت رأيك؟».

وبدا على وجهه الانتصار حين تساءل:

«وما رأيك؟»

اطرقت برأسها وبدا على وجهه الغم. ولم يستطع اخبارها عن المبلغ

الضخم الذي دفعه ثمناً للصور والمصور. هذا افضل عمل قام به في حياته. ثم قال:

«لا تفعلي ذلك ثانية اطلاقاً. هل تفهمين؟».

ورغم قربها منه، بقيت تشعر بانها في حلم ولم تصدق ما يجري حولها:

«هل تصدقني؟».

«بالطبع».

«وتفهم سبب زواجي بليز؟».

«نعم... ولكن يجب ان اوضح ما يلي: انني لست شخصاً هادئاً ومتفهماً بطبيعتي. بل انني معاند ومتعجرف واطالب بالكثير واذا ما اغتاظ احطم وارغب برد الاذى. نادراً ما امرض، ولكن اذا شعرت بالألم في اصبعي الصغيرة فانني اطلب منك استدعاء فريق كامل لعلاجي. ولست صبوراً مع الحمقى. اعرف اخطائي ولست قديساً، الا انني احبك اكثر من اي شيء اخر على وجه الارض. هل هذا كاف؟».

«واذا صدقت بانني احببتك طوال الوقت وانني كنت على وشك مغادرة البلد بسببك لانني لم احتمل العيش بدونك. الا يعطيك هذا الجواب على تساؤلك».

«هل تقبلين الزواج مني؟».

«نعم».

«كيف تستطيعين العفو عني بعدما عانيته بسببي، رغم انني لا استطيع الغفران لنفسي؟».

«كلا، اصمت. كل ما اطلبه هو الا تدعني ارحل».

«ابداً انني احبك واحتاجك. وسأحاول طوال حياتي تعويضك عما حدث، لان ما حدث ارعبني وزعزع ثقتي بنفسي. كنت دائماً واثقاً من نفسي ولكنني احسست بتململ قلبي رغم سيطرة العقل وحساباته».

«اصمت رجاء. لا لا تحمل اذاك لنفسك. ما حدث انقضى ولتكفنا سعادة الحاضر الآن».

«كلا، اذ ما كان سيحدث لو ان سوزان لم تقرر اختباري؟ وكنت مخطئاً بحق سوزان ايضاً، برغم عذابها لعدة سنوات. ولو كنت اقل عجرفة لسألت نفسي عن سبب اهتمامها بستيوارت رغم عجزه ولفهمت بانه كان

السبيل الوحيد للتعويض عن احساس بالذنب وانها احبته بصدق وارادت العيش معه، وانها لم تكن مجرد مراهقة حمقاء تتظاهر بحب رجل مقعد».

«كانت سوزان اكثرنا حكمة».

قالت بنعومة، واحست هي الاخرى، بانها اقوى منه ومن تلك العاطفة بنفسه، اذ حاولت على طريقتها تصحيح الامور.

«والآن لنحاول النظر الى المستقبل، ولكفانا اسفاً واعتذاراً».

«نعم، كفانا اسفاً واعتذاراً».

لكنها علمت ان هناك شيئاً لن تستطيع محوه من ذهنه: عجز اخيه، فسألته:

«هل قرر ستيوارت قبول اجراء العملية؟».

«نعم، ربما خلال الاسبوعين القادمين والتي لن نستطيع الزواج في اقرب وقت. لذا اعرف مكاناً جميلاً قرب الراين، نستطيع قضاء شهر العسل هناك، ونستطيع زيارة ستيوارت وسوزان التي ستبقى معه بالتأكيد، ثم نستطيع بعد ذلك الذهاب لزيارة والدتك، لانني لا اعتقد انك ستسافرين اليوم. وعلي الآن الاتصال هاتفياً ب... ولكن، هل ابدو متعجلاً في قراراتي؟».

«كلا، احب ذلك. واريد ان ارى ستيوارت قادراً على المشي من جديد».

بعد ستة اسابيع، تحققت كل امانيها.

في شرفة مضاءة، بالقمر قرب نهر الراين. وقفت على قلعة قوطية الطراز، راقبت جيردا البدر مضيئاً اشجار الصنوبر وكان قلبها مفعماً بالارتياح والقناعة. اذ راقبوا ذلك الصباح، ستيوارت واقفاً لأول مرة، محاولاً ان يخطو.

كانت خطواته غير متوازنة وبمساعدة ايد عديدة، الا انها خطوات قادته الى ذراعي فتاة احبته وضحك الجميع واختلطت ضحكاتهم بالدموع وكان كل ما قالته سوزان وببساطة:

«انظر الم اقل انك قادر على المشي».

«الحب والاخلاص».

قال جيرودان وكأنه استطاع قراءة افكارها.

«والآن نستطيع التمتع بسعادتنا الخاصة».

اومأت برأسها وسادهما الصمت من جديد حتى قال بهدوء:

«اخبريني مرة اخرى».

«ماذا؟».

وتظاهرت بالحيرة.

«انك تحبيني».

«احبك اكثر من اي شيء آخر في العالم».

«اتمنى لو استطيع اكتشاف الف طريقة جديدة اعبر فيها عن حبي لك. وتعرفين يا عزيزتي اني مستعد لمنحك العالم كله، لو كان ملكي».

استدارت نحوه وهمست:

«لا اريد العالم كله، بل اريدك انت».

روايات رومانسية عالمية
عبير
٥١٥

لحظات الجمر

الحقيقة

عندما لا تقال تخلق في الضمير

حالة كابوس تنمو وتنمو كالاخطبوط الشرس،
وتروح تعبث بالحالة النفسية وتؤثر على التصرفات ،
حتى تصل لحظات الجمر. لحظات قول الحقيقة... فكيف اذا
كان الحب مختبئاً وراءها . ينتظر بفارغ صبر ان تقال ؟ جيردا لم
تكن تتصور ان جوردان بلاك يمكن ان يفكر بها بشكل جدي، بل
كانت تحاول الفرار من كل ما يربطها به حتى انها استقالت من عملها
وعزمت على السفر. فجوردان رجل بلا رحمة وهو يمقتها ولا
يتوقف لحظة عن التنكيل بعواطفها. لذلك بقيت على عهدها
لاخيه ستيوارت الذي تعرض لحادث اليم ولم تخبره
الحقيقة... وبينما كانت على اهبة الخروج من كل
مصائبها . قرع الباب شبح طويل
القامة...

مكتبة زهران